

الأدب في العصر الجاهلي

يُعد الأدب في العصر الجاهلي - وبخاصة الشعر - ديوان العرب.. صورة مشرقة حية لهذه الفترة إذ يعتبر سجلاً أميناً لكل مظاهر الحياة بكل صورها، وتاريخياً دقيقاً لأحداث هذا المجتمع وتطوره، وذلك من خلال أسلوب أدبي ولغة أدبية جذابة شائقة مؤثرة ممتعة.

ويحدر بنا أن نشير إلى أن الأدب الجاهلي مثل الحياة الجاهلية بكل ألوانها - السياسية والاجتماعية والعقلية، تمتيلاً صادقاً، في صورة ناطقة بأحاسيس ومشاعر الأدياء والشعراء.

ميزات الأدب الجاهلي:

بالرجوع إلى الأدب الجاهلي والنظر فيه من ناحية الشكل والمضمون، هما ركنا الأدب وأهم خصائصه - يمكن أن نحصر مميزاته فيما يلي :

١. المفروض أن الشعر هو الفن الأدبي الأول الذي سيطر على هذه الحياة البدوية ما دام الشعر لعة الطفولة الإنسانية، وأسبق الفنون الأدبية إلى الوجود.

٢. شتار العاطفة في الأدب الجاهلي بالصدق، وذلك لما امتاز به الجاهليون من الحرية والاعتزاز بالنفس، فلم يكن هناك ما يدعوا إلى النفاق والمداراة، وقد كان منهم من حيا الملوك والرؤساء وعرض نفسه للتهرب أو الهلاك بسبب صراحته وصدق شعوره كطرفه والمتلمس، وإن لم نصل العاطفة إلى ما نطلق عليه الآن " سمو العاطفة " والفرعة الإنسانية العامة، ولعل ذلك تابع من تأثير الأدب في تلك الفترة بالحياة المادية.

٣. ومن ناحية الفكر فإننا نلاحظ أنها شرة تحارب شتى ، وأفكار متناثرة تمثل الذكاء وحدة الذهن . ولا تمثل البطرة الشاملة أو المنطقة المسلسل المستقيم ، وذلك راجع إلى انعدام الحياة العقلية الراقية ، فكان الأدب الجاهلي يقوم على الشعور على هذه التحارب العادية والضروريات الطارئة .

٤. أما الخيال ، فهو الخيال النيابي أو التفسيرى القائم على الاستعارة والتشبيه والمحايز وما إليها وهذا النوع طبعى ما دام الأديب يتخذ عناصر هذا الخيال من النادية ، فالرجل العظيم فحل ، أو قرم أو حبل ، والناقصة في سرعتها كالحمار الوحشى ، والرجل السريع كالظليم أو الحصان ، والكريم كالنحر ، والشجاع كالأسد ، والمرأة كالغزال والنقرة الوحشية ، وهكذا يتخذ موضوعاته الوصفية وعناصره الخيالية من الصحراء والسماء والكواكب والحيوان ، فهو أدب حقيقى قلما تجد فيه مبالغه تخالف ظروف العصر وأحواله

٥. أما من ناحية الأسلوب ، فهو الأسلوب الطبعى العربى الخالص القائم على قلة الترادف والتكرار ، وعدم الترترة ، وعدم الاهتمام بالفنون البديعية . وذلك لقرب اللغة من عهدها الطبعى اليسير ، وكذلك الميل إلى الإيجار ولاسيما في النثر . كما كان الأسلوب حالياً من اللحن .

ولسنا ممن يقول بعراة اللغة الجاهلية أو صعوبة عبارتها . فذلك يجب أن يقاس بمستوى ومحارف الجاهليين أنفسهم ، وما دام هذا الأدب مفهومًا لديهم يتلقونه ويعارضونه ويتأثرون به ، فهو أدبهم السهل الطبعى المعروف والأدب الجاهلي بهذه الصورة سيطر معيماً لا ينصب للأدباء والدارسين على مر العصور واختلاف الأماكن .

نونية المثقب العبري

هذه القصيدة من بحر " الواقر "

نص القصيدة :-

١. أفاطم قَبْلَ بَيْنِكَ متعيني
- ومنَعَكَ ما سألتَ كانَ تَبِينِي
٢. ولا تُعَدِي مواعِدَ كاذِبات
- تَمرُ بِها رِياحُ الصَيفِ دونِي
٣. فإني لو تخالفني شمالي
- خلافك ما وصلت بها يميني
٤. إذا لقطعتها ولقلت بيني
- كذلك أجتوى من يجتويني
٥. لمن ظعن تطالع من ضبيب
- فما خرجت من الوادي لحين ؟
٦. تبصر هلى ترى ظعناً عجلاً
- بجنب الصححان إلى الوجين ؟
٧. مررن على شراف فذات رجلٍ
- وتكبين الذرائح باليمين
٨. وهن كذاك حين فقطعن فالجا
- كان حدوجين على سفين
٩. يشبهن السفين وهن يخت
- عراضات الأباهر والشؤون

١٠. وهن على الرجائز واكنات
قوائل كل أشجع مستكين
١١. كغزلان خذلن بذات ضال
تنوش الدانيات من الغصون
١٢. ظيرن بكلة وسدلن رقما
وتقنن الوصاوص للعيون
١٣. أرين محاسناً وكسنن أخرى
من الديداج والبشر المصون
١٤. ومن ذهب يلوح على تريب
كلون العاج ليس بذى غضون
١٥. وهن على الظلام مطلبات
طويلات الذوائب والقرون
١٦. بتلهية أريش بها سهامي
تبذ المرشقات من القطين
١٧. علون رباوة ، وهبطن غيباً
فلم يرجعن قائللة لحين
١٨. فقلت لبعضهن وشد رحلي
لهاجرة نصبت لها جيني
١٩. لعلك إن صرمت الحبل مني
كذاك اكون مصحبتي قروني

٢٠. فسل الهم حنك بذات لوث
عذفرة كمطرقة التيون
٢١. بصادقة الوجيف كأن هراً
يبازيها ويأخذ بالوضين
٢٢. كساها تامكا قرداً عليها
سوداي الرضيخ مع اللجين
٢٣. إذا قلت شدت لها سنافا
أمام الزور من قلق الوضين
٢٤. كان مواقع الثغفات منها
معرس باكرات الورد جون
٢٥. يجذ تنفس الصعداء منها
قوى النع المحرم ذي المئون
٢٦. تصك الجانبين بمشفت
له صوت أبح من الرنين
٢٧. كأن نفى ما تنفى يداها
قذاف غريبة بيدي معين
٢٨. تسد بدائم الخطران جثل
خوايبة فرج مقلات دهين
٢٩. وتسمع للذباب إذا تغنى
كتغريد الحمام على الوكون

٣٠. وألقيت الزمام لها فنامت
لعادتها من السدف المبين
٣١. كأن مناحبها ملأت بجام
على معزاتها وعلى الوحين
٣٢. كأن الكور و نسع منها
على قرواء ماهرة دهمين
٣٣. يشق الماء جرحها وتعلو
غوارب كل ذي حذب بطين
٣٤. غدت قوداء منشقا نساها
تجاسر بالنخاع وبالوتين
٣٥. إذا ما قمت أرحلها بليل
تأوه أهمة الرجل الد زين
٣٦. تقول إذا دارأت لها وضيئي
أهدا ديبه أبداً وديني ؟
٣٧. أكل الدهر حل وارتحل
أما يبقي على وما يقيني ؟
٣٨. فأبقى ساظلي والجد منها
كدكان الداربنة المطيرين
٣٩. شئت زمامها ووصعت رجلي
ونمرقة رفدت بها يميني

٤٠. فرحت بها تعارض مسيطرا
على صحصاحة وعلى المتون
٤١. إلى عمرو ومن عمرو انتني
أخي النجدات والحلم الرصين
٤٢. فإما أن تكون أخي بحق
فاعرف منك غثى من سميني
٤٣. وإلا فاطرحنى واتخذني
عدواً أتقيك وتتقيني
٤٤. وما أدري إذا يممت وجهها
أريد الخير أيهما يليبي
٤٥. أألخير الذين أنا أبتغيه
أم الشر الذي هو يبتغيني؟

التعريف بالشاعر^(١)

هو عائد بن محصن بن ثعلبة بن وائلة بن نكرة بن عبد القيس بن أسد
بن ربيعة. ولقب بالثقف لست قاله هو

ظهر بكتابة وسدين رقما وثقب الوصاوص للعيون

هو لم نجد المصادر الأدبية بشيء يكشف النقاب عن حياة الثقف الأسرية.
وكل ما لدينا أن أباه - محصن بن ثعلبة - كان رجلاً مرموقاً في قبيلته.
لقب بالصلح لأنه قام بالصلح بين قبيلتي بكر وثعلب، وكذا قبيلتي
عوف وعامر. وفي هذا يقول الثقف:

١- لغير ترجمته في شرح المعطيات للتبريري ٢ / ٥٥٥، طبقات فحول الشعراء لابن سلام الحمصي ١ / ٢٧١،
شعر والشعراء لابن قتيبة ١ / ٣٩٥

أبي أصلح الحارثين بكرأ وتغلباً

وقد أرعيت بكر وخف حلومها

وقام بصلح بئر عوف وعامر

وخطه فصل ما يعاب زعيمها

ومالدينا أيضاً أن أحته هي ام شاس بن نهار العبدي الشاعر المعروف باسم المرقى . أما تاريخ مولده فمجهول وتوفي سنة (٥٨٨ م) .

كح والمتقّب العبدي من شعراء عند القيس ، وهي إحدى قبائل البحرين التي داند بالنصرانية في الجاهلية ، ولدا عده الأب لويس شيخو ضمن الشعراء النصرانيين في كتابة الشعراء النصرانية في الجاهلية ، ومما يشير إلى نصرانيته ذكره للفظ الجلالة مرجحاً إليه النوات والجراء في قوله .

فجزاه الله من ذي نعممة

وجزاه الله إن عبدا كفر

كما جاء مقرا بمشينة الله بعد تبينه . في قوله

وأيقنت إن شاء الإله بأنه

سبيلغني أجلاها وقصديتها

ومن أقواله التي نستشف منها لونا من ديانته ، والتي تومى إلى وجود إله مدبر . فتعكس لونا من نصرانيته .

وما أدري إذا يممت وجهها

أريد الخير أيهما يليني

أأخير الذي أنا ابتغيه

أم الشر هو بيتليني؟

و قد تعددت ألوان الثقافات في شعر المنقب العدي ، وإن في معظمها
 مستمدة من البيئة المحيطة به ، والأفكار السائدة فيها
 ومن أهم مظاهرها تلك الثقافة اللغوية التي تحلت في اتساع لعتة شعرية
 وتعدد مرادفاتها بصورة بينه تمكنه من اختيار اللفظ المناسب للمعنى المراد ،
 فحاءت ألفاظه دقيقة في مدلولاتها .

كما اتسمت ثقافة المنقب ببعض السمات الحصرية ، ولعله اكتسبها
 من بيئته - البحرين لوقوعها في كنف مملكة الحيرة ، والاحتكاك بها .
 هذا بالإضافة إلى ما للبحرين من سمات حضرية نتيحة لوقوعها على
 شاطئ الخليج العربي ، مما سهل لها حياة الاستقرار ، وفتح أمامها
 أبواب الرزق كالزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، والصيد ، فبدأ طبيعياً أن
 تتسم الحياة في البحرين بالسمة الحضري ، والتي أثرت بدورها في ثقافة
 المنقب .

وكما تأثرت ثقافة المنقب العدي بالبيئة المحيطة به بدت كذلك متأثرة
 بالمعتقدات السائدة فيها آنذاك ، فبدأ أثرها واضحاً حلياً في شعره .

هذا وقد حاءت أشعار المنقب خير شاهد على طيب عنصره وسمو حلقه ،
 ومن أشعاره التي تؤكد ذلك قوله

أجعل المال لعرضي جنة

إن خير المال ما أدى الذم

ومن أشعاره التي تشير إلى عزة نفسه وأنفته ، قوله ،

أنا بيتي من معد في الذرى

ولي الهامة والفرع الشم

وكذلك يتعفف عن الغيبة والفحش ، إذ يقول :

لا تراني راتعا في مجلس

في لحوم الناس كالسبع الضرم

وكلام سيء قد وقرت

عنه انناى وما بي من صمم

ومن أقواله التي تدل على تسامحه وصفحه عند الإساءة إليه .

وليعض اصمح والإغراض عن

ذي الخنا أبقي وإن كان ظلم

و قد تأثر بشعرا المثقوب عديد من السعراء المعاصرين له واللاحقين به

ومن هؤلاء : الطرماح ، والشماخ بن صرار ، والنايعة الديباني .

اللغة والمعاني :

أفطم قبل بينك متعيني

ومنحك ما سألت كأن تبيني

ولا تعدي مواعد كاذبات

تمر بها رياح الصيف دوني

فإني لو تخالفني شمالي

خلافك ما وصلت بها يميني

إذا لقطعتها ولقأت بيني

كذلك أجنوى من يجتويني

اللغة :

افاطم : أراد أفاطمة ، فقطع آخر الأسم وهو الترخيم .

البين : البعد والفراق . **متعيني** : يريد متعيني بوصولك .

ومنحك ما سألت : أي منحك لوصلي . **كان تبينني** : أي كمفارقتك عندي .

نصر بها : تذهب بها وتفرقها في كل وجه . وخص رياح الصيف دون سائر الأزمنة .

لأن الخير يقل فيها ويكثر غبارها ولا يحلب مطرا .

وقال الأستاذ " محمود شاكر " إنما عنى بريح الصيف مما يتورببها ويذهبها

من الخلاف والعناد واليأس ، وكل ما يذهب بالمودة ويعصف بالمواعيد .

ربيني : ابتعدي . **الاهواء** : الكراهة والاستتقال .

المعنى :

افتتح الشاعر قصيدته بحطاب مباشر إلى صاحبته - فاطمة - يستنكر فيه

عزمها على الفرقة والارتحال ، ويأمرها بأن تتمهل في فراقها حتى تصله كسابق

عهدا ، وأن تلتزم في وعودها دون خداع أو مواربة ، وإلا فلن يشفع لخداعها

مكانها في قلبه مهما تعاضم قدرة ، فلو أبي عزيز ، تآبى عليه نفسه أن يرتضي

الخنوع والاستسلام لنداء قلبه . فلو قدر لشماله أن تخالف بيمينه على شاكلة

صاحبته لقطعها دون تردد أو تريث ملوحا بها بعيداً عنه . فلاحاجة به لمن رغب

عنه وأحب مفارقتة .

لمن ظعن تطالع من ضبيب

فما خرجت من الوادي لحين

مررن على شراف فذات رجل
ونكين الدرانج باليمين
وهن كذاك حين قطعن فلجا
كأن حدوجهن على سفين
يشبهن السفين وهن بخت
عراضات الأباهر والشؤون

اللغة

ضبيب : أسم مكان .
ذات رجل : موضع .
الذرانج : جمع ذرنخة . وهي الأكمة دون الهضبة ، وهو هنا موضع معروف بين كاظمة والبحرين .
نكين : عدلن عنه .
ومعنى كذاك : أي حالتها الأولى يوم قطعن فلجا ، وكان حملهن على سفين .
السفين : جمع سفينة .
العراض : العريض المعرف .
الأباهر : الظهور ، وأصل الأبهه عرق في الظهر .
الشؤون : جمع شأن ، وهي شعب قنائل الرأس التي تحزي ، منها الدموع إلى العينين .

المعنى :

ويحاول الشاعر أن يضيف صبغة واقعية على تجربته بتحديدده للأماكن التي مر بها موكب صاحبه عند الارتحال ، من ضبيب ، والصحصان ، والوجين ، وشراف ، وذات رجل ، والذرانج ، وقد عمد الشاعر إلى ذكر هذه الأماكن لتحري

الدقة في وصفه للطريق ، كما أنها تحقق له المتعة واللذة بذكرها وتساوده على استحضار عناصر تجربته في جميع صورها . هذا بالإضافة إلى كونها علامات على الطريق ترشد من ضل طريقة في البداء .

ثم انتقل بعد ذلك إلى لقطة أخرى يشبه فيها إبل الموكب في ضخامتها وسرعة سيرها بانسياب السفن في الماء ، فهي طويلة ، عريضة الظهر ، تتمايل في سيرها كتمايل السفن في الماء .

وهن على الرجائز وكنات

قوائل كل أشجع مستكين

كغزلان خذلن بذات ضال

تقوش الدانيات من الغصون

ظهرن بكلية وسدلن رقما

وتقبن الوصاوص للعيون

أرين محاسناً وكنن أخرى

من البياج والبشر المصون

ومن ذهب يلوح على تريب

كلون العاج ليس بذى غضون

وهن على الظلام مطالبات

طويلات الذوائب والقرون

بتلوية أريش بها سهامى

تبذ المرشقات من القطين

الرجائز : مراكب النساء . جمع رحاظة . وهي أصغر من الهواذج . واكنات

جلسات مظمئبات

وقوله " قوائل كل أشجع . أي كل رحل أشجع في نفسه مستكين لهن .

والاستكائة : الخصرع . **خذلن** : جنح .

ذات ضمال : أسم موضع . **نفوش** : تقطف .

الكلبة : غطاء يفرش على الهودج .

البرقم : البرود ، أو ضرب مخطط من الرشي .

الوصاوص : البراقع .

البشر المصيون : بعض بشرتها كاليد وبعض الوجه ، وما لا ريبة في إطبارة .

وسترن ما عدا ذلك .

التريب : جمع تريبة ، وتجمع على ترائب ، وهي عظام الصدر موضع القلادة .

الفضون : تثنى الجلد .

على الظلام : أي على ظلمهن . **مطلوبات** : مطلوبات لفرط حملهن .

الدوائب : صفائر الشعر المسترسلة على الطنير .

الترون : حصلة من الشعر يحوار الأذن .

قلبية : تفعلة من اللبو ، أي نعت الحباله لهن . ونعد سهام اللهو فنرصد

لصيدهن . **تبيذ** : نسبق .

المرشقات : الحديدات النطر . وقيل لا يكون الارشاق إلا بمد العنق .

القطيس : الحدم ، والجيران . والتناع

المعنى :

ثم انتقل شاعرنا إلى وصف جمال محبوبته ، وهي في معية صويحبانها - حتى لا يظهر صورتها كاملة أمام السامعين ، متنعاً في ذلك تقاليد البادية العربية في ضرورة الحفاظ على المرأة وصونها فأشاد بفرط جمالهن حتى استطلعن أن يقتلن بسهام نظراتهن كل شجاع في استكانة ويسر، حتى لا يملك من أمر نفسه إلى أن يستكين ويخضع لسلطان جمالهن ، والذي رحن يكشف عن بعصه من البشرة الملتفة في أبهى ثياب من الديباج والحريز، والصدور البيضاء التي تشبه العاح في بياضه وإشراقه، مما مكنهن من استلاب قلوب الرجال في خفة ورشاقة كغزلان تنهاوى في رياض يانعة يقطعن من ثمار غصونها الدانية، وهن على ظلمهن للرجال محلويات لفرط جمالهن ، فهن طويلات الذنائب والقرون ، ولذلك يحتال لهن الرجال ويعدون لهن سهام الصيد ليفوزوا بوهن ويلهوا بوصلهن .

علون رباوة ، وهبطن غيبا

فلم يرجعن قائلة لحين

فقلت لبعضهن وشد رحلى

لهاجرة نصبت لها جبينى

لعلك إن صرمت الحبل منى

كذاك أكون مصحبتى قرونى

اللغة :

الرباوة : ما ارتفع من الأرض .

الغيب : ما أطمأن من الأرض . فغاب عنك ما فيه . فلم يرجعن قائلة .

لحين : أي مستمرات في السير ، ولم يملن إلى قبيلة .

الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الشمس ، وقوله لهاجرة أي من أجلها ،

وسميت هاجرة لأن السير بهجر فيها .

نصبت لها جبيني : أي وطلت نفسي على ركوبها .

وقوله صرمت الحبل مني : نكي به عن محرمانه وقطعها ليرصه

مصصتي : تابعتني : يقال : ضربت العير حتى أصحب أي تنع وانقاد .

قرونه : نفسه وموضع ، مصصتي مبتدأ وقورني خبره ، والجملة تفسير لقوله .

كذلك : وكذلك حير أكون ، والجملة تترجم عن حواب الشرط .

المعنى :

وبعاود الشاعر تنمعه لموكب صاحنته في عزيمته وإصرار يتروء من حديثها ما يمكنه من تحمل ويلات الطريق ووعثاونة ، وحرارة الهاجرة ولهبها ، فيعقبه عن حرص وكثب في صعوده وهبوطه ، ثم يقدم - هذه المرة - في جراءة على مخالطة صاحنته مباشرة محدراً لها ألا تتصرف عنه في وصلها وودها ، وإلا نالت منه مثيل فعلتها فنصرف إلى نفسه ويصحبها بدلاً منها

وهذا النهج وإن كان في طاهرة يبدو محالفاً لما يحب أن يكون عليه المحب مع محبوبته من التهالك والصيانة إلا أنه يتواءم مع حمية الحاهلي وصدوته واعتزازه بنفسه عند احتكاكه بما يؤله ويسير صنوته وبخاصة إذا كان في مقام الفخر كستان شائرا . وإلى هذا المعنى أشار الدكتور / محمد أنوموسى في قوله " وهذا الصرب من العزل الذي ترى حيله أعوام الاعتزاز والتعني بالفعال الكرنة وطبائع النفس المنارة هو الشبه بالشخصية العربية ، والإنسان العربي في هذه

الحقبة من تاريخه وأن الصبوة وإنما تثير عند هذا العربي الشعور بالتماسك والجلادة والقوة والشباب " (١)

ولعل الشاعر يرمز بصعود الموكب وارتحاله إلى مواقع تجربته مع صاحبتة وما يتخللها من شبوب في العاطفة وهدوء يعقنه .

فسل لهم عنك بذات لوث

عذافرة كمطرقة القيون

بصابقة الوجيف كأن هراً

يباريها ويأخذ بالوضين

كماها تامكا قردا عليها

سوادى الرضيخ مع الوجين

إذا قلقت شددت لها سنافا

أما م الزور من قلق الوضين

كان مواقع الثغفات منها

معرس باكرات الورد حون

اللغة :

الضم : الحزن ، وهو عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل .

ناقية ذات لوث : أي ذات قوة ، وقيل كتيرة اللحم ، واللوث من الأضداد بمعنى

القوة والضعف .

العذافرة : السديدة القوية .

القيون : جمع قين وهو الحداد

الوجيف : السير السرى .

١- قراءة في الأدب القديم - محمد أبو موسى ص ٧٣ للطبعة الأولى دار الفكر العربي بالقاهرة سنة ١٩٧٨م

وقوله : بصادقة الوجيف بدل من قوله بدات لوث .

بباريتها : يريد به ينافسها ويحدثها . الوضين : حزام الرجل .

الغامك : السنام المشرف القرد : المجتمع الصلب .

السوادي : يريد علف السزاد وهو القنت والنوي ، ونسبة إلى السواد لأنه علف
الأمصار لا الدر

الرضيخ : المدقوق من النوى

اللجين : ما تلحن ولزق بعضه ببعض ، يريد أنها علفت حتى سمت ،
وركنها سنام مشرف .

السناف : خيط أو حبل رقيق يشد من اللب إلى الوضين لضمر البعير .

الجزور : الصدر ، أو العظم الذي في وسط الصدر .

الثغيات : ما مس الأرض من يديها ورجليها ومقدمة صدرها عند البروك ،
وهن خمس .

المعريس : موضع التعريس ، والتعريس هو النزول آخر الليل . أو أوله .

باكرات الورد : أي مكربات إلى الماء ، ويعني هنا القملا ، وهي طائر في حرم الحمام .

جون : سرد ، وخص القملا الجوبي للطفاته .

المعنى :

تم ينحدر الشاعر من حديسه عن صاحبه إلى وصف ناقته التي امتعها
صحرائه - حتى ينفس عما احتشد في صدره من لبيب الوجد والمناة - فراح
بمعن في وصف شدتها وقوتها ، وهي باقة قوية شديدة تشبه في صلابتها مطرقة
الحدادين ، كما أنها تسرع في عدوها وكان هرا حانها بنهشها بأسنانه وبحاله .

متحد في عذرها وانطلاقها حتى تتقى مخالته وأنبابه، ولم لا وهي ناقة قوية النيان علفت حتى سميت واعتلاها سنام مشروب، قد بسبب قلقها لاستواء الرجل على ظهرها فيشد له حمل لتثبته، وقد بلغت من قوتها وضخامتها أنها تترك أثراً لبروكها على الأرض تشبه آثار أفراس القطا عند هبوطها عند موردها بكورا .

يجذ تنفس الصعداء منها
قوى النسع المحرم ذي المتون
تصك الجانبيين بمشقتز
له صوت ابح من الرنين
كان نفى ما تنفى يداها
قذاف غريبة بيدي معين
تسد بدائم الخطران جنل
خوايبة فرج مقلات دهين
وتسمع للذباب إذا تغنى
كتغريد الحمام على الوكور

اللفظة :

بحد : بقطع . تنفس الصعداء : يعني به هواء زفيرها عند التنفس

النسع : حمل يشد به الرجل يمتد على وسط الناقة .

المحرم : الذي لم يديغ ولم يلين . التوى : الطاقات .

دو المتون : ذوا القوى، والمعنى أنها إذا زفرت قطعت النسع بتنفسها لأنها

شديدة عطيمة الوسط .

تصك : تزح أو ترمي .

المنفرق : المنفوق ، ويعني به هنا المنفوق من الحصى .

البصة : صوت فيه علة . المعين : الأجير .

الغريبة : الرحى . ونضجها : ما تملحنه وتغذف به .

دائم الخطران : ذنبها . فطراته : حركته .

الخواية : الفرحة . الجئل : الكثير الشعر

المقاتل : التي لا يبقى لها ولد . الدهين : القليلة اللبن

الذباب : أراد به هنا حد نابها إذا صرفت بأنيابها .

التفريد : التطريب . الكون : جمع وكن . وهو عش الطائر.

المعنى :

ويستمر الشاعر في وصف قوة بافته وصخامتها ، فهي باقة قوية تقلع سير
الرحل المتين إذا ما تنفست حتى أنها لترمي بالحصى - من فرط سرعتها -
في سيرها فتغذف به جانبها بشدة ، فتسمع له صوتاً أشد من الربيع يشبه صوت
النوى المقذوف من بين شقي رحى سريعة الدوران ، كما أنها تمتلك دنأً سميكاً
دائم الخطران تسد به ما بين قوائمها ، وتسمع لأنيابها إذا ما صرفت بها صوتاً
يشبه بعريد الحمام على الكرن

فألقيت الزمام لها فنامت

لعادتها من السدف المبين

كأن مناخها ملقى لجام

على معزائها وعلى الوجيز

كأن الكور والأنساع منها
 على قرواء ماهرة دهمين
 يشق الماء جؤجؤها وتعلو
 غوارب كل ذي حدب بطين
 غدت قوداء منشقاً نساها
 تجاسر بالنخاع وبسالونين

الغنية :

السدف : الليل ، والسدف النهار ، ويريد به هنا الضوء.
 المبين : البين العادة : النزول من وقت السحر في مثل ذلك الوقت
 المعزاء : الموضع الكثير الحصى .
 الوجين : ما غط من الأرض وارتفع ، فشبه مواقع ثغانتها بمواقع أشلاء
 اللجام إذا ألقى الكور : الرجل .
 النساع : جمع نسع ، وهو سير تشد به الرحال .
 قرواء : سفينة طويلة . ماهرة : سابعة .
 دهمين : مدهونة . الحؤجة : الصدر .
 الغوارب : الأمواج . الحدب : الموح المرتفع .
 البطين : الواسع النعيد القوادء : الطويلة العنق .
 وأراد بالنسا : موضع النسا . وإذا سذنت الناقة انشقت اللحماء - بي
 الفخدين فحرى النسا بينهما واستئان .
 النخاع : خيط ممتد أبيض في الصلب .

المعنى :

ويواصل الشاعر وصف نائته وضخامة بنيانها ، فهي باقة صلنة شديدة المراس يواصل ترحاله عليها ليل نهار . حتى أنها لا تهجع لنومها إلا في نهاية الليل بعد طول عناء ومشقة ، فتترك أثرا لمواقع بروكها يشبه مواقع أشلاء لجام ألقى على الأرض ، وهي في صخامتها وعنفوانها تشبه سفينة تتهاوى فوق المياه بعد أن تشق بصدرها الأمواج المتلاطمة ، ولا نعرو في هذا فهي باقة قوية علقت حتى اكتملت لها روافد القوة والنشاط من السمثة وسرعة العدو .

إذا ما قمت أرطها بليل

تأوه أهة الرجل الحزين

تقول إذا درأت لها وضيئي

أهذا دينه ودينني

أكل الدهر حل وارتحال

أما يبقى على وما يقيني ؟!

اللغة :

ارطيه : أجعل عليه الرجل واشد عليه أدواته .

التأوه : الوجد . دراته : مددته وشدت به رحلها .

الوضيئ : حزام الرجل . ديبه : عادته ودأبه .

يقيني : يحفظني ويصونني

المعنى :

ويتمادى المثقب في وصف ناقته حتى يتغلغل إلى أعماقها ، فيترحم لنا عما يحول بخاطرهما - إن قدرلها أن نتكلم - فهي تتأوه منه حزنا عندما يعدها للرحيل ليلاً ، تفضى عما في قلبها من شكوى قائلة : إلى متى يستمر في حلة وترحاله ، أما يحرص على وبقيني من هذا الهلاك !؟

ولعل المثقب هنا أراد التنفيس عما احتدم في صدره من مشاعر الضيق والملل ، فعبر عنها بلغة شعرية وأعارها لسان ناقته . فجاءت مصنوعة بصيغة النفسية .

فأبقى باطلئ والجند منها

كدكان الداربننة المطمين

ثنيت زمامها ووضعيت رحلي

ونمرقه رفدت بها يميني

فرحت بها تعارض مسبطراً

على صحصاحة وعلى المتون

اللغة :

باطلي : أي ركوبي لنا في طلب اللهو والغزل .

الجند : انكماشها في السير . ودكان الداربننة دكان الدرايين ، الواحد دربان ، وهو فارسي معرب .

المطمين : من طلنته أطينه وموضع الكاف من قوله كدكار مفعول به أي مثل دكان .

يمرقة : وسادة اعتمدت عليها . **تعرض** : تنارى وتحاكي

مسيطرا : أي طريقا متدأ .
الصحصاح : المستوى من الأرض
المتون : جمع متن ، وهو الصلب من الأرض .

المعنى :

ويوصل شاعرنا وصفة لفة ناقته - من زاوية حديدة - فيصرح بصلاية ناقته وشدتها بعد مرورها بكل هذا المصاعب والمهالك التي لم تستطيع النيل من قدرها بل بقيت على قوتها وصخامتها كأنها بناء صخم مطين يشبه مقعد البوابين، ولعمرها قوتها ونشاطها راح يستأنف عليها ترحالة يعارض بها أعتى السبل وأصعبها في مختلف ألوانها .

إلى عمرو ومن عمرو أنتني
أخي النجدات والحلم الرصين
فإما أن تكون أخي بحق
فاعرف منك غشى من سميني
وإلا فاطر حنى واتخذني
عدوا أتقيك وتتقيني

اللغة :

عمرو : هو عمرو بن هند ، وأمه هند بنت الحارث بن عمرو الكندي . وأبوه المنذر بن امرئ القيس اللخمي .
ومعناه : قصدت بناقتي عمرا ومن عنده أنتني النجدات
فاعرف منك غشى من سميني : أي فاعرف نصحك من غشك .
اطرهي : اتركي .

المعنى :

وبعد أن انتهى الشاعر من نسيبه بمحبوبته ، ووصفه لناقته ورحلته عليها ،
 يظهر لصاحته - فاطمة - قوة مراسه ، ونبل حصاله ، وسمومكانته . التفت -
 بعد أربعين بيتاً - مادحاً لعمر بن هند من قبيل الفخر بصلته به ، باعتباره ركن
 تكتمل به عناصر فحولته وعزته وروافد إبانته وشممه . حتى يكشف لصاحته أنه
 يتمتع بمكانة تجعله خليقاً بحبها فتعاوده بوصولها من جديد ، مها هوذا يقول
 مخاطباً عمرو بن هند : إن لم تكن الأخوة بيننا على ما بينته وحددته ، فانقض
 يدك مما بيني وبينك ، واتخذني عدواً لك احتزرت منك وتحترز أنت مني . وينطوي كل
 منا على ضغن صاحبه والحذر من شره .

ومما أدري إذا يممت وجهها

أريد الخير أيهما يليني

أالخير الذين أنا أبتغيه

أم الشر الذي هو يبتغيني

اللغة :

اكتفى الشاعر بذكر أحد الأمرين - في البيت الأول - وهو الخير ، اعتماداً
 على ما يحى بعده - في البيت الثاني - من التصريح بالأمر الثاني وهو الشر

المعنى :

ويختتم الشاعر قصيدته بحكمة أبدية راسخة يكشف فيها عن جهل
 الإنسان ما تضمه له الأقدار ، فعلى المرء أم يسعى لبعيته دون اكتشاف نتائج
 سعيه ، فهي متروكة لما قدر له .

التحليل والتعليق :

تعد نونية المنقب من أشهر قصائده الشعرية ، وأكثرها شيوعاً وانتشاراً ، تجلت فيها موهبة المنقب العنبة ، وعدد فيها من موضوعاته الشعرية كالنسيب ، والوصف ، والفخر ، والحكمة ، في تجاوزه محكم ، وبناء متكامل ، فحاشا قصيدته متلاحمة متماسكة ، تمثل قيمة أصيلة ، ولذا حظيت بتعليقات كثيرة من النقاد ، حتى ورد ذكرها في أكثر من أربعين مصدراً ، وصدق " أبو عمرو بن العلاء " حين قال : " لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه " (١)

١ . غرض القصيدة

ومن أهم النقاط التي وقف النقاد بصددتها في هذه القصيدة ، الغرض المنشود منها ، أو الهدف الذي يبتغيه الشاعر من نظمها ، واخبرنا شراح الشعر الجاهلي مرة بعد مرة أن المدح هو الغرض الحقيقي لهذه القصيدة ، وأن مطلعها الغزلي ، ووصف الطعن والظاعنات ، ووصف الناقة أيضاً ، وما ختمت به القصيدة إن هي إلا مقدمات للغرض الأصلي وتعليقات عليه (٢) .

ويشير الدكتور طه حسين إلى أن الغرض الأصلي من نظمها هو العتاب ، إذ يقول : " وشاعرنا يطيل شيباً في غزله وعتاب صاحبه ووصف الطعائن ، وهو يحليل كذلك في وصف ناقته والفلاة ، فإذا انتهى إلى صاحبه الذي يريد أن يعانبه لم يطل في العتاب ، وإنما انقطع حديثه فحاشاً " (٣) .

١- الشعر والشعراء / ١ / ٣٩٥

٢- نظر قراءة الشعر / ١ / ٢٤٢ .

٣- حديث الأربعاء / ١ / ١٦٦

على حين يشير الدكتور الربيعة إلى وصف الناقة هو العرض المنشود مينا " أن الناقة - دون سواها - تبقى هنا محور العمل الشعري ، وينقى كل شيء عداها على هامش هذا العمل " (١) .

والواقع أن الغرض الحقيقي من هذه القصيدة هو الفخر ، فلو نظرنا بعمق إلى جميع موضوعاتها لوجدناها تنسم بالفخر ، فالشاعر يهدف من وراء فخره هذا إلى أن تثبت لحبوبته " فاطمة " أنه يتمتع بمكانة عالية ، وخصال نبيلة ، تحله خلقياً بحبها ، فتعاوده بوصفها وودها بعد قطعها عنه .

والثقب في نوبته جاء مخاطباً لعمر بن هند في ثلاثة أبيات تعلوها نبرة عالية من العزة والكبرياء ، يقول فيها : (١) .

إلى عمرو ومن عمرو أنتتى
أخى النجدات والحلم الرصين
فإما أن تكون أخى بحق
فاعرف منك غشى من سمينى
وإلا فاطر جنى واتخذني
عدواً أتقيك وتتقيني

واختلف النقاد حول هذه الأبيات نتبحة لتلك اللجة العالية التي تكتنفها . والتي لا نتفق في طبيعتها مع مخاطبة الملوك فهل المراد منيا عمرو بن هند " الملك " أم عمرو عيرد ؟

١- قراءة الشعر ص ٢٦٢ .
٢- السيول ص ٢٠٨ - ٢١٢ .

ومن هذا المنطلق أعلن الأصمعي " عن نشككه في أن المخاطب فيها عمرو
من هند " الملك " قائلًا

" أراد غير الملك ، لأنه لم يكن ليخاطبه مثل هذا الكلام " (١).

كما أشار الأستاذ حسن كامل الصيرفي إلى تشككه في ترتيب هذه الأبيات
بقوله : " ربما كانت الأبيات الواردة بعد البيت الأول - وهي التي شككت
الأصمعي بلهوتها في أن يكسر المخاطب هنا هو عمرو الملك - متأخرة عن
موضعها لا سيما وأن أبياتاً أخرى من هذه القصيدة قد جرى التقديم والتأخير
فيها أو أنه كان يوجه القصيدة إلى واحد من أهله وعشيرته ، ثم يقول له إنه تارك
له بلاه ليذهب إلى حيث يقيم الملك " (٢).

على حين يلمح الدكتور طه حسين إلى أن هذه القصيدة قد اقتضت
اقتضاباً وضاع منها جزء غير قليل ، واعتمد في هذا على أن المثقب أطال في نسبه
وعتاب صاحبه ، ووصف الطعائن والناقاة ، فإذا ما انتهى إلى صاحبه - عمرو بن
هند - والحديث إليه لم يطل ، وانقطع حديثه فجأة (٣).

والحق أن المثقب في خطابهِ لعمرو بن هند - الملك - يريد أن يظهر
لمحبوبته مدى ما يتمتع به من مكانه ، تمكنه من مخالطة الملوك بهدوء المهجة
التي تغلها الندية وعزة النفس ، فيقع هذا من قلبها حسناً يسمح له معاودة
وصلها من جديد .

١- شرح شمسليات لتتريز ٢ / ١٠٣٥

٢- ديوان المثقب تحقيق أ / حسن كامل الصيرفي ص ٢٠٩

٣- لفظ حديث الأربعاء ١ / ١٦٦

ومن ثم فالتقّب لم يهدف في نونيته إلى مدح عمرو بن هند ، وإنما عرض له من قبيل الفخر بنفسه ، باعتباره موقفاً يثبت من خلاله مدى قدره ومنزلته ، فحاء حديثه إليه موجزاً لم يطل فيه ، ولم يقتضب كما ذهب الدكتور طه حسين . وهكذا حرص المثقّب على الفخر في نونيته ، فجاءت موضوعاتها ملائمة لفخره حتى في نسبه بمحبوبته " فاطمة " جاء متمسكاً بعزته ومعلنأً لكبريائه قائلأً لها :^(١)

أفاطم قبل بينك متعيني

ومنك ما سألت كأن تبيني

ولا تعدى مواعيد كائنات

تمر بها رياح الصيف دوني

فإنني لو تخالفني شمالي

خلافك ما وصلت بها يميني

والتقّب بهذه اللهجة العاتية التي يخاطب بها محبوبته ، والتي يكشف من خلالها عن كبريائه وعزته في حبه ، حياءً مخالفاً لعادة الشعراء في نسيبهم بصيحاتهم ، إذ كانوا يتهاكون في صوبهم ، ويتخادلون من علنة الوجد على قلوبهم المستعرة ، وهذا مسلك شائع عندهم ، حتى غداً دليلاً على إجادتهم في اتعارهم وبسه إليه القدمات في قولهم ' يحب أن يكون النسب الذي يتم به العرض هو ما كثر فيه الأدلة على التناك في الصابة ، وتطاهرت فيه الشواهد على إفراحا الوجد واللوعة ، وما كان فيه من التصابي والرقّة أكثر مما يكون فيه من الخشن والجلادة ، ومن الخشوع والدلة أكثر مما يكون من الإباء والعرة وان يكون

١ - النبل ص ١٣٦ - ١٣٩

جماع الأمر فيه ما ضاد التحافظ والعزيمة ، ووافق الانحلال والرخاوة فإذا كان النسب كذلك فهو المصاب به الغرض ^(١) .

ومن هذا المنطلق انتقد الأستاذ عبد العظيم قناوي ، قول المثقب الذي يحذر فيه صاحبه من قطعها لوصله ووده .

لعلك إن صرمت الحبل مني

كذلك لكون مصحبتني قروني ^(٢) .

وعلق عليه قائلاً " وإذا كان هنا ما يمكن أن يؤخذ عليه فهو خشية القطعية إن صرمت حبله ، فالعاشق لا يملك زمام قلبه ، ولا يدفع جماح نفسه " ^(٣) .

والواقع أن المثقب في نسبه لم يسلك هذا المسلك الشائع ، وإنما سلك ضرباً من الشعور الصادق والعقيق بالصبر والشوق ، فالشاعر بعد أن قطعت عنه صاحبه ودعا ، وبعد أن علاه الشوق أثار هذا الشعور في نفسه إحساساً بالشباب والقوة والكبرياء ، فراح يغنيها شعوره بالبطولة والأنفة والفعال الحميدة التي يتحلى بها ، والتي تجعله أهلاً لوصولها ، فتعاوده به " وهذا الضرب من الغزل الذي نرى حوله أنغام الاعتزاز والتغني بالفعال الكريمة وطماغ النفس الممتازة هو الأشبه بالشخصية العربية والإنسان العربي في هذه الحقبة من تاريخه ، وأمر الحيرة إما يتبرر عند هذا العربي الشعور بالتماسك والحلادة والقوة والتناب والفتوة والعروسة " ^(٤) .

١- بقا الشعر القديمة من جعفر تحقيق د / محمد جناحي ص ١٣٤

٢- صرمت نصعت ، سحر الجند ولود قروني نفس (النيل ص ١٦٥)

٣- ترصيف في العصر الجاهلي ص ٣٢١

٤- قراءة في الأدب القديم د / محمد أبو موسى ص ٧٣

ويلمح الدكتور " الربيعي " إلى هذا الضرب من السلوك في تساؤله عن المعنى من أن يعلن المثقف العدوى غضبه على فاطمة . وعلى مثيلة لها في مقطع تال ، ويتساءل ذلك التساؤل الملئ بالمعنى بعد ذكر الملك عمرو بن هند مباشرة . ثم لا يحدث ذلك مع الناقاة . رغم أنه حلع عليها صفات النسر وجعلها نسكر وتبرح كما يفعل الإنسان ؟^(١)

وحول الدكتور " طه حسين " أن يجد حلاً لهذا التساؤل بتحليل راح فيه إلى أن " الشاعر أنشأ قصيدته في العتاب ، وهو يفكر من غير شك في صاحبه الذي سيعاتبه حين ينتهي إليه أكثر مما يفكر في صاحبه التي يطلب إليها المتاع فإذا تحدث إلى حبيبته بهذه اللهجة الغليظة القاسية ووجه إليها هذا النذير الخشن الغليظ ، فهو خليق إذا تحدث إلى صاحبه أن يكون حازماً ومتشديداً قاطعاً . لا يحب الهوادة ولا اللين " ^(٢)

والصواب أن المثقف حاء بتلك اللهجة العالية في خطاب لمحبوته " فاطمة " وكذلك في محادثته لعمرو بن هند . من قبيل الفخر والاعتزاز بنفسه وكبريائه محسب . وليس من قبيل العصب - كما ذهب الدكتور الربيعي - بدليل أن المحرك لهذا الفخر هو حبة لعاطمة . فهو يهدف من وراء فخره إلى وصلها من حديد .

ولم يفعل ذلك مع ناقته من قبيل حبه لها وإحلاله لمكانتها . فالناقاة في نظر الجاهلي قادرة على كل شيء فهي تعين تلى قطع القمار الموحشة ، وإليها يرجع الفضل في انتشال الشاعر من همومه وأحزانه ، وحمايته من محاطر الصخراء .

١- لطر قراءة الشعر ص ٢٦٢

٢- لطر قراءة الشعر ص ٢٦٢

ولعل كل هذه التساؤلات من النقاد ترجع في أصلها إلى عدم وقوفهم على الغرض الحقيقي من نظم النونية وهو العخر.

٣ . النحل في شعره :

ومن أهم القضايا التي أثيرت حول شعر المنقب العدي - وبخاصة في نونيته - قضية الوضع أو النحل ، ويعد الدكتور طه حسين " من أبرز من تعرضوا لشعر المنقب من هذه الناحية ، وذهب الدكتور في اتهامه لشعر المنقب بالوضع أو النحل إلى أمرين :

عدم وضوح شخصية المنقب في شعره ، وأشار إلى هذا خطابه لمحدثه قائلاً .
" ما رأيك في صوت تحمله القرون الطوال حتى تنتهي به إليك وحتى تنتهي به إلى مَنْ بعدك من الأجيال ؟ وأنت تسمع الصوت وتبين جرسه ونغمه . وتتبعه متراجعا مع هذه القرون ، حتى إذا انهيته إلى آخرها أو إلى أولها ، لا تجد شخصا بنا . وإنما وجدت شخصا شائعا ، ويعحني الشعر الذي لا تستطيع أن تنهي به إلى شاعر معروف واضح الخصال . بين الشخصية . يعحني لأن فيه عظمة نأينه من هذا القدم الذي يخفي علينا مصدره إخفاء " (١).

والواقع أن شخصية الشاعر في شعره تتكشف من ناحيتين . الناحية الأخلاقية وتتمثل في أفكاره ومعتقداته وخصاله الخلقية ، والناحية الفنية . وتتمثل في الخصائص الفنية المعبرة لشعره . والتي يختص بها عن غيره من الشعراء

ويلمح ابن رشيقي في حديثه عن حقيقة الشاعر إلى مقومات الشخصية ، قائلاً " وإنما سمي الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره ، فإذا لم يكن عند

الشاعر توليد معنى ولا اختراعه ، أو استطراف لفظ وابتداعه ، أو زيادة فيما أحسب به غير من المعاني ، أو نقص أصله سواد من الألفاظ . أو صرف معنى إلى وجه آخر . كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيفة ، ولم يكن له إلا فصل اليرير . وليس بفصل عندي مع التفسير " (١) .

والحق أن شخصية المثقف العبدى تندو واضحة حنة في جميع اشعاره وترسم ملامحها من حلال اشعاره كما يلي :

فها هو ذا بخاطب محبوبته فاطمة بلهجة عالية بعيدة عن الذل واليوان
مبين عرته وكرياء في حنه .

فأبي لو تخالفني شمالي

خلافك ما وصلت بها يميني

إذا لقطعتها ولقلت بينسي

كذلك أجتوى من يجتويني

وهو القائل في حطائه لعمر بن هند مينا منزلته ومكانته

إلى عمرو ومن عمرو اتنتي

أخي التجذات والحلم الرصين

فإما أن تكون أخي بحق

فاعرف منك غشى من سميني

وإلا فإطر حتى واتخذني

عدواً أتقيك وتثقيني

وأشاد الدكتور طه حسين نفسه بهذه الديات ، مبيناً أن الناس حفظتها لأنها راعتهم وأعنتهم حقاً^(١) .

ولعلها راعتهم وأعنتهم من قبيل مخالفتها لعادة الشعراء عند مخاطبة الملوك فالنقب هنا يظهر حرأته وشجاعته في مخاطبته لعمر بن هند ، ولم يستعطفه أو يمدحه طمعا في عطاياه ، وهذا ما لم يكن معهودا لديهم .

وهو القائل على لسان ناقته مبينا صدق إحساسه ، ودقة شعوره :

تقول إذا دارأت لها وضيني

أهذا دينه ودينني ؟

أكل الدهر حل وارتحال

أما يبقي على وما يقيني ؟

وأشار الدكتور طه حسين إلى أنها من أروع ما قال الناس ، لا في اللغة العربية وحدها ، بل في غيرها من اللغات^(٢) .

وهو القائل في مكر الأقدار بالناس وجهلهم بما تضمنه لهم :

وما أندري إذا يمت وجهها

أريد الخير أيهما يليني

أالخير الذين أنا أبتغيه

أم الشر الذي هو يبتغيني ؟

١- لغير حديث الأربعاء ١٧٠ / ١

٢- لغير حديث الأربعاء ١٧٠ / ١

ألا تكفى كل هذه النماذج الشعرية - للمثقب العبدى - ما تحويه من سمات فنية ، وخصال خلقية ، في رسم شخصية قوية ، لها خصال بينه ، وشاعرة صادقة ؟

هذا بالإضافة إلى ما ذكره الدكتور طه نفسه عندما شهد للمثقب بأنه " كان حعيف الروح ، عذب الحديث ، قوى النفس ، شديد الحزم ، يكاد ينتهي إلى شيء من الغلظة ، رقيق القلب مع ذلك يكاد يذوب رقة ولينا " (١) .

فهو يؤكد تفرد المثقب بشخصية قوية ، لها سمات خاصة ، تميزه عن غيره ، كما أنه أشاد به في موضع آخر يقول فيه " ويعجبي أن أقف عند هذا الشعر الذي بقى وثبت ، واكره الرواة على روايته والشرح على شرحه وتفسيره ، وأتاح للغويين وأصحاب النحو أن يستنبطوا فيه كلمات كانوا يجهلونها ، ومذاهب في النحو لعلم لم يكونوا ليهتدوا إليها " (٢) .

وفي هذا ما يؤكد وضوح شخصية المثقب وقوتها في شعره ، وإلا فكيف توافقت لهذا الشعر كل هذه المقومات من القوة والشموح ، حتى بقى ثابتا ، واستطاع أن يكره الرواة على روايته ، والشرح على تفسيره ، ولم تنوهر فيه سمات الشخصية البينة، رغم أنه ترجمة عنها، وصدى لأنفاسها ١٤

٣ . المقدمة :

انسمت القصيدة في بدايتها بنج فنى حديد - بالنسبة لعصرهم وهونيج الولوج إلى لب الموضوع مباشرة دون التمهيد له مقدمة طلييلة معهودة ، يتناكى أصحابها من خلال على ما بقى في قلوبهم من طيب ذكرياتهم المنصرمة ، وحرارة

١- للمرجع السابق ١ / ١٦٥ - ١٦٦

٢- المرجع السابق ١ / ١٦٥

الشوق لاسترجاع عبق أريجها ، وهو ما درج عليه شعراء عصرها ، واعتبروه شرطاً لازماً لتوافر عناصر القوة والإحادة في تدبيح القصائد الحسنة إلا أن المتقرب العبدى في مقدمة هذه القصيدة حالف هذا النوح وقصد إلى لب موضوعه مباشرة دون تهيد أو تقديم ، فخاطب صاحبه مباشرة في مطلع قصيدته قائلاً :

أفأطم قبل بينك متعيني

ومنحك ما سألت كأن تبيني

والناظر في هذا المطلع يتجلى له مرجع الأمر في قصد الشاعر إلى هذا النوح .

ويتمثل في سببين رئيسيين :

أولهما : شدة حبه وشغفه بمحبوبته ، فهو معنيٌ بحبها في المقام الأول وقبل كل شيء فكان اهتمامه أولاً ببث أشواقه ونجواه لقلدها حتى يستمبله فتعدل عن عزمها في الارتحال .

وثانيهما : ضيق المقام المفروض على الشاعر نتيجة لشرع صاحبه في الارتجال الفعلي مع صوحيحاتها ، مما دفع به إلى سرعة مخاطبتها مباشرة دون نريث أو إبطاء حتى يثنيها عن عزمها ، تدل عن ارتحالها ونعاوده بوصولها وودها من حديد ، وبخاصة بعد أن راح يغنيها كل هذه المواقف الفخرية التي تحلله خليقاً بحبها وأهلاً لوصولها وودها حتى لا تردد في مواصلة عودها معه .

٤ . الوحدة :

استطلع العبدى أن يوفر لهذه القصيدة عديداً من الوحدات الفنية التي تساعد على إبراز أواصر الصلة بين آياتها ، يوفر لها الوحدة الشعرية وتتمثل في

هذا الشعر الفخري المفعم بالصنعة والفحولة والاعتزاز، والمخيم على جميع أبيات القصيدة حتى لنكاد نستشعره في كل كلمة منها، والمتفجر في قلب الشاعر نتيحة لعدول صاحبه عنه بوصولها وحبها، مما أثار كوامن الفحولة والحمية في نفسه، وبخاصة وهو العربي الأدبي الذي يتمتع بكل هذه الخصال التي تشهد على صوته وفحولته، كما وفر لها الوحدة الفكرية وتتمثل في وحدة الهدف أو الغرض الذي قصد إليه الشاعر من وراء نظمة لأبيات هذه القصيدة بنهجها المنظومة فيه، متمثلاً في استمالة قلبها حتى تعدل عن ارتحالها وتعاوده وودها من جديد، ومن ثم فقد هداه فكره إلى استعراض كل هذه المفاخر أمامها - بداية من محاطته لها بتلك اللهجة الأمرية التي تعلوها نبرة العزة والكبرياء، ثم باستعراضه لكامل سيطرته وتمكنه من ناقته التي تمثل كل هذا القدر من مظاهر القوة والصلابة، ثم باستعراضه لطبيعة علاقته بعمر بن هند والتي تعلوها الندية والاعتداد بالنفس - حتى يكشف لها عن مكانته التي تجعله خليفاً بحبها، فتعاوده بوصولها وودها، كما وفر لها الوحدة الفنية وتتمثل في وحدة الطابع اللغوي والأسلوبي المخيم على أبيات القصيدة، هذا بالإضافة إلى وحدتي الوزن والقافية.

وهكذا تنطوي القصيدة على عدة وحدات فنية تقوى أوامر الصلة بين أبياتها بصورة تتيح للناظر فيها أن يحكم عليها بتوفر الوحدة العضوية فيها بقدر ما توافر لها من وحدات (كالوحدة الشعرية، والوحدة الفكرية، والوحدة الفنية، ووحدي الوزن والقافية) .

ولعل هذا الرأي لا يوافق كثيراً ممن يحدون الشعر الغنائي من الوحدة العضوية نظراً لتداعي أفكاره ونوارده حواطره على محلية الشاعر في غير ترتيب مسبق أو إحكام بنائي مقصود، إلا أن الحقيقة النابت - والتي لا حدال فيها -

أن الوحدة العضوية عبارة عن مزيج من تلك الوحدات السابقة في بوتقة واحدة ، بحيث تمثل كل وحدة منها رانداً من روادد الوحدة العسوية ، ولا يكن لأبي عمل أدبي - مهما يكن نوعه - أن يكون حالياً من كل هذه الوحدات . وإما الأصوب أن نحكم بتحقيق الوحدة العضوية في العمل الأنسي بقدر ما توافق فيه من الوحدات المكونة لها .

5 . اللغة والصياغة :

اتسمت القصيدة في لغتها بالتنقل بين السهولة والوضوح تارة ، وبين القوة والغموض تارة أخرى ، فأحياناً تنساب من حداول ألفاظه كلمات تنسم بالرقرة والوضوح فتكشف عن مضمونها في سهولة ويسر دون معاناة أو تكلف نحو (متعيني ، تبيني ، غزلان ، الدانيات من الغصون ، الديباح ، النسر المصون) .

وتارة تنطلق كلماته غامضة تحتاج إلى مرير من الجهد للوقوف على معناها نحو الوصاوص ، والسناف ، والتقنات " وما يتراءى لنا أحياناً من صعوبة متابعة الشعر لا يرجع إلى عمقه أو فلسفته بقدر ما يرجع إلى غرابة ألفاظه علينا في هذا العصر . ووضوح الشعر الجاهلي بصفة عامة أو غالته تفسره طبيعة الحياة الجاهلية نفسها ، الحياة البسيطة غير المركبة . الواضحة غير المعقدة . حياة الصحراء الواسعة التي ينطلق فيها الإنسان " (١) .

وقد اعتمد الشعاع في قصيدته على عديد من الأساليب الفنية التي تشهد على براعته الشعرية ، كالترخيم في قوله :

١- الشعر الجاهلي نظوره وحاصله لسيدة / بهي الدين ريان ص ١٥٠ دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٨٢ .

أفاطم قبل بينك متعيني

ومنحك ما سألت كأن تبيني

والترخيم في اللغة التلحين ، ومنه الترخيم في الأسماء ، لأنهم إما يحدفون

أو أحرها ليسهلوا النطق بها " (١) .

والترخيم عند المثقوب لا يقف عند حدود الإحساس بالقرب أو الاحتضان

وحسب ، بل ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالحالة النفسية لدى الشاعر وما يقتضيه

الحال ، وذلك كقوله السابق : إذ جاء النداء في قوله " أفاطم " بالهمزة وهي لنداء

الغريب . فهي حاضره في قلبه ، قريبة من روحه ، وإمعاناً في هذا القرب - وكأنما

قد احتضنها بقلبه وروحه - رخم باسمها " فاطمة " فحذف أحره نجاء البناء " "

أفاطم " بالترخيم والنداء بالهمزة خير شاهد على مكانة هذه المحبوبة في قلبه كما

حاء الترخيم هنا موافقاً لمقتضى الحال إذ وجد الشاعر صاحبه التي ملكت عليه

قلبه قد تأهبت للرحيل فأراد مخاطبتها في عجلة قبل رحيلها ، فكان الترخيم خير

معين له نظراً لصيق المقام .

ومن الأساليب البديعية التي اعتمد عليها الشاعر في قصيدته الطباق ، وذلك في قوله :

فإني لو تخالفني شمالي

خلافك ما وصلت بها يميني

إذ طابق الشاعر بين الجهتين " اليمين " و " الشمال " لما بينهما من تضاد

ومن أمثلة ذلك قوله أيضاً :

فإما أن تكون أخي بحق

فاعرف منك غثى من سميني

وإلا فاطر حنى واتخذني

عسداً أتقيك وتتني

إذ جاء مطابقاً في البب الأول بين اسين " العت والسمين " . وهما من

الصفات الحسية ، على حين طائى في البيت الثاني بين فعلى " اطرحنى واتخذني "

ومن الأساليب البديعية التي اعتمد عليها أيضاً في قصيدته الاستفهام . وذلك كقوله :

لمن ظعن نطالع من ضبيب

فما خرجت من الوادي لحين ؟

تبصر هلى ترى ظعنأ عجلاً

بجنب الصحصان إلى الوجين ؟

إذ شخص الشاعر من نفسه شخصاً آخر - على سبيل التبريد - ونوجه

إليه محاطباً في الأسلوب الاستفهامي ، والاستفهام هنا يكشف أبعاد تلك الحالة

النفسية التي تكتنف الشاعر ، إذ توجه إلى متسانلا لمن هذا الظعن وهو يعلم أنه

لصاحبه ، وكأما بمنى نفسه أن يكون هذا الظعن لشخص آخر . فلا تقوى بنسه

على تحمل الحقيقة . وهي طعن المحبوبة .

وفي قوله " تبصر هل ترى طعنأ " يبين أن عينيه لا تقوى على المشاهدة

بنفسها من سدة دموعها المنيرة . فيتوجه إلى صاحبة متلمساً منه أن ينصر

نبابة عنه ، حتى يمتع بهديته عنياً .

ومن استفهاماته أيضاً قوله يتحدث على لسان ناقته

تقول إذا درأت لها وضيني

أهذا دينه أبداً وديني ؟

وقد يأتي استفهامين في بيت واحد كقوله

أكل الدهر حل وارتحال

أما يبقي على وما يقيني ؟

والاستفهام هنا معناه التعجب والتفريع ، وكرر الاستفهام مبالغاً في

التعجب كما يومئ هذا الاستفهام إلى عدة إشارات منها :

١. دقة ورهافة حسه إذا استطاع أن ينفذ إلى بواطن ناقته ويستشعر

وجدانها بهذا القول .

٢. شعور المثقّب بظلمه لناقته وإثقاله عليها في رحلاته ، حتى أنه لو

قدر لها أن تتكلم لأعربت عن شكواه بهذا القول ، وفي هذا مظهر من

مظاهر اهتمامه بها وحبها لها .

٣. إحساس المثقّب بالضيق والملل من كثرة ترحاله ، فعبّر عن إحساسه

هذا على لسان ناقتة حرصاً منه على مظهره أما صاحنته .

هذا وقد حوت القصيدة عديداً من الصور الفنية التي تشهد على اقتدار

صاحبها وتمكنه من أدوات فنه ، ومن تلك الصور قوله :

يجذّ نفس الصعداء منها

قوى السع المحرم ذي المتون

تصك الحانين بمثفتر

له صوت أبح من الرنين

كان نفى ما تنفى يداها

قذاف غريبة بيدي معين

وهي صورة كلبة تكشف عن قوة ناقته وشدتها ، وتتكون من ثلاث صور حزبية تتمثل كل واحدة منها في بيت مستقل ، وتتضام فيما بينها لتعطي مشهداً متكاملًا ينطق بالقوة والنشاط من جميع جوانبه .

في البيت الأول يصور الشاعر قوة ناقته وشدتها عند تنفسها حتى أنها لتكاد من شدة تنفسها واتساع صدرها أن تقطع سير الرجل عند التنفس ، وهي صور حسية بصرية مفعمة بالحركة تعتمد على خيال بسيط استمد روافدها من واقعه المشاهد .

وفي البيت الثاني يصور الشاعر قوة ناقته وشدتها من زاوية أخرى يعكس فيها سرعة ناقته وشدّة عدوها ، حتى أنها من فرط سرعتها تقذف جانبها ببعض الحصى المتطاير من وقع نغماته دوى الرنين بل هو أقوى ، وهي صورة حسية بصرية مفعمة بالحركة أيضاً تعتمد على خيال خصب بسيط يستحلب روافدها من واقعه المشاهد ويعاود تركيبها أو رسم معالمها بعد إعمال خياله فيها .

وفي البيت الثالث يصور الشاعر قوة ناقته وشدتها من زاوية جديدة ، يعكس من خلالها شدة سرعة ناقته وشدّة صلابتها في عدوها ، حتى أنها من شدة وقع قدمها على الأرض في عدوها تطحن ما يقع تحت قدمها من حصى فيبدوا دقيقاً في صغره وكأنه طحين منعت من بين شقى رحي قوية سريعة الدوران ، وهي صورة حركية تعتمد على الحسن في إدراكها ، أعمل فيها الشاعر خياله إلى حد بعيد حتى استطاع أن يأتي بها على هده الشاكلة المفعمة بالحركة والنشاط من جميع جوانبها .

وهكذا استطاع الشاعر أن يحاور بين هذه الصور الجزئية الثلاث في مقدرة فائقة نمك من خلالها أن يصور مشهداً متكاملًا يمزج بالحركة من جميع جوانبه

ومن بديع صوره أيضاً قوله يصور سرعة ناقلته .

فسل الهم هنك بذات لوث

عذفرة كمطرقة القيسون

بصادقة الوجيف كأن هراً

يباريها ويأخذ بالوضين

فها هو ذا يجمع بين صورتين أحدهما ساكنة يدعو فيها نفسه إلى إزاحة

الهم عنه باستطانه لناقلته القوية الصلبة التي تشبه فيها صلابتها وشدتها مطرقة

الحدادين ، والثانية متحركة يصور فيها سرعة ناقلته العانية واستمرارها وكأن

هراً معلقاً بجانبها ينهشها بأنيابه وبخاله فتجد في عدوها للفرار من شراسته .

وهما صورتان حسيتان اعتمد الشاعر في استجلاب روافدها على واقعه المشاهد

بعد إعماله لخيال خصيب وبخاصة في صورته الثانية التي جاءت مشعة بالنشاط

والحركة من جميع جوانبها .

٦ . الموسيقى :

وقد اختار الشاعر لقصيدته بحر الوافر ، وتفعيلاته (معاعلتن مفاعلتن

مفاعل) في كل شطر . وهو من النحور اللينة الطيبة يشند إذا شددته ويرق إذا

رفقته . وأكثر ما يحود به النظم في الفخر .^(١) ومن ثم فهو بحر يتواء مع عاطفة

الشاعر الجياشة والمفعمة بمشاعر الصوة والفحولة والاعتزاز .

كما اتخذ الشاعر من حرف النون المكسورة رويالقصيده . وقد اعقنها بياء

وصل ممدودة حتى يتبع لنفسه مساحات رحبة تعينه في التنفيس عما بداخله من

١ - نصر الشعر والشعراء لابن قتيبة ٥٩٣١ تحقيق أحمد محمد شاكر ط ٢ دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٨٢م

جيشان مشاعر الصدوة والكبرياء ، وبذلك تقوأم القاعية مع الوزن في إيجاد مناخ ملائم لعاطفة الشاعر وعمق نحرته ، وببدا الوزن والفانسة تمتعت القصيدة بنبرة موسيقية عالية الحرس ، واححة الرين ، اعلت من قدر شاعرنا ومكنت لشعره وشاعريته في قلوب السامعير ، مما دفع بأبي عمرو بن العلاء بتعقيبه على هذه القصيدة بعد سماعها واستحسانها بقوله مادحا : " لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه " هذا بالإصانة إلى إنها حظيت بتعليقات كثيرة من قبل الأدباء والنقاد ، حتى ورد ذكرها في أكثر من أربعين مصدراً .

النثر الفني في العصر الجاهلي

أثر عن العرب في العصر الجاهلي تتركب كثير وكلام غريب، كما أثر عنهم شعر جيد، وكان العرب يستخدمون نثرهم في شتى معاملاتهم، وساتراً أعراضهم الحياتية، ومن ثم كانوا يحتفلون له، ويهتمون به، ويختارون له الألفاظ القوية المعبرة والمعاني الشريفة، والأساليب الرصينة، وكانوا يطلقون على هذا النوع من الكلام النثر الفني لأنهم كانوا يعتنون به عناية فائقة، وهذا النثر يعطينا صورة صادقة عن حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وترتد عن أنواع النثر الجاهلي، وأهم هذه الأنواع هي:

١. الخطب .
٢. الوصايا .
٣. الأمثال والحكم .

الخطب .

الخطب مأخوذة من " الخطب "، وهو الأمر الخطير، لأنه إما يقام بالخطب في الأمور العظيمة، والأحوال الخطيرة، ولا يسمى الخطيب خطيباً إلا إذا غلب ذلك عليه وعلى وصفه، وصارت الخطابة صناعة له .

والخطبة كلام قوي معبر، ذو دلالة عميقة، وشأن عظيم من التأثير، يلقى هذا الكلام على حشد كبير من الناس لإقناعهم بما يعود عليهم بالخير العنيم والنفع العظيم في دنياهم وآخرتهم .

صفات الخطيب :

وضع أهل الحاشية بعض الصفات لشخصية الخطيب النارع، ورأوا أنه لا يكمل الخطيب في نظرهم إلا إذا تحققت تلك الصفات في شخصيته، فمنها أن

يكون شريف الأصل ، صادق الحديث ، جهير الصوت ، قليل ، التلفت ، راسح ، لطيف الملابس والهيئة ، حسن السمات ، يطابق قوله فعله ، ذا وقار وسكينة وهدهد على أدب جم وأخلاق سامية . وكانوا يمدحون فيه رباطة الجأش ، والتببات وابتعاده عن الارتعاش والارتعاش والحصر والعي ودقته في اختيار الألفاظ وعنايته بالأساليب والمعاني ، قال الجاحظ " أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح قليل اللحظ ، متخير الألفاظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوقة . ويكون في قوله فضل التصرف في كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ، ولا يصعبها كل التصفية ."

وكان للخطباء في العصر الجاهلي أصول مرعية ، وعادت متبعة . وسنن مطروقة في أداء خطبهم ، فقد كانوا يخطبون في المواسم والمراحل العظيمة ، والمحاسن الكبيرة على رواحلهم . وكانوا يلوحون أثناء إلقاء الخطب بالعصى والقسى والرماح قال " الجاحظ " في ذلك " كانت العرب تخطب بالخاصر وتعتمد على الأرض بالقسى وتشير بالعصى والقنا حتى كانت المغاصر لا تفارق أيدي الملوك في محاسنهم ."

وكان الخطباء في العصر الجاهلي يطيلون خطبهم أحياناً ويقصرونها أحياناً أخرى ، يفعلون ذلك مراعاة لما يقتضيه المقام ، وما يتطلبه الحال . قال " أبو عتمة الجاحظ " أعلم أن حميع حطب العرب من أهل المدر البدو والحصر على صربين منها الطوال ومنها القصار . ولكل ذلك مكان يليق به وموضع يحس فيه ، ومن الطوال ما يكون مستويا في الجودة ومتشاكلاً في استواء الصنعة يحس فيه ومن الطوال ما يكون متشاكلاً في استواء الصنعة ومنها درات الفقر الحسان .

والنق الجياد ، وليس فيها بعد ذلك شيء يستحق الحفظ ، وإما حفظه التخليد في بطون الصحف ووجدنا عدد القصار أكثر ورواة العلم إلى حفظها أسرع .

محالات الخطابة :

والخطابة تستعمل في إصلاح دات الدين ، وإطفاء نائرة الحروب ، وقضاء الديات ، والتسديد للملك ، وإثارة المشاعر ، وإيقاظ العواطف ، وبعث الهم لخصوص المعارك ببسالة وحرارة ورباطة حاش ، وتستعمل كذلك في التأكيد للعهد في عقد الأملاك ، والإشادة بالناقب ، والوعظ والإرشاد ، والتقويم والتهديب والإصلاح ، وعقد الاتفاقات ، وإبرام العهود ، وأخذ الميثاق ، ونشر المودة والألفة والمحبة ، والمناسبات الاجتماعية مثل العزاء ، والزواج ، والتهنئة ...

أنواع الخطابة :

من يتتبع الخطب المختلفة ويحاول أن يقف على أنواعها يلاحظ أنها متعددة الأنواع ، مختلفة الألوان والانجاسات ، والموضوع الذي يتناوله الخطيب هو الذي يجعل الخطب متعددة الأنواع متباينة الألوان والانجاسات . وهما هي بي أنواع الخطب :

- ١ . خطب الوفوسود .
- ٢ . خطب الرثاء والعزاء .
- ٣ . خطب الصلح .
- ٤ . خطب الزواج .
- ٥ . خطب الحرب والتخصيص .
- ٦ . خطب التهنية .
- ٧ . الخطب السياسية والبرلمانية .
- ٨ . خطب التكريم والمدح .
- ٩ . خطب الاستخلاف والولاية .
- ١٠ . خطب القنوح .
- ١١ . خطب الدين والوعظ والإرشاد .
- ١٢ . خطب المفاخرات والمنافرات .

١٣. الخطب القضائية . ١٤. الخطب العلمية .
١٥. خطب المناظرات . ١٦. خطب المدافعة والاتهام .

والحق أننا لم نقف على هذه الأنواع فيما بين أيدينا من نثر جاهلي ، وأشهر ما وقفنا عليه من أنواع الخطابة الجاهلية ما يلي :-

١. خطب الوفود . ٢. خطب إصلاح ذات البين .
٣. خطب الاستهزاء والدعوة إلى الحروب .
٤. خطب المنافرات والمفاخرات . ٥. خطب الزواج .
٦. خطب التعزية والرثاء .

أشهر الخطباء في الجاهلية :

أنجب العصر الجاهلي كوكبة عظيمة من الخطباء ، آثروا الحياة الأدبية وزودوا المكتبة الجاهلية بمجموعة طيبة من الخطب التي تأسر الألباب وتستحود على الأفتدة بما تتسم به من فصاحة نادرة ، وبلاغة سامية ، فمن أقدم خطباتهم " كعب بن لؤي " ، وهو الجد السابع للنبي ﷺ ، وكان كعب هذا يحطت للعرب جميعاً ، ويحضهم على السر ، ويحثهم على الصلاح والاستقامة ، ولما مات هذا الحليل المصقع أكرهوا موته ، وأرحوا به إلى عام الفيل . ومن أشهر خطباء الجاهلية أيضاً " قيس بن خارحة " حطيت حرب داحس والغبراء ، و" خويلد بن عمرو العطفاني " حطيت الفجار ، " وقس بن ساعدة " حطيت " عكاظ " الذي استمع إليه النبي ﷺ في سوق " عكاظ " . " وأكنم بن صبيح " حكيم العرب المشهور ، وقاصديها ورعهم حطائنها . " وهشام بن عبد مناف " ، " وعبد المطلب بن هشام " ، " فيس بن عاصم " ، و" عمرو بن الأهتم " ، و" رهير بن حباب حطيت كعب

وقضاة ، و " ربيعة بن حدار " حطيب بن أسد ، و " عامر بن الطرب العدواني ' أحد حكام العرب في الجاهلية ، " وهرم بن قحطبة الفرابي " ، و " عمرو بن كلثوم " حطيب تغلب ، و " هاني بن قبيصة " حطيب بن شيبان " وابن عمار الطائي " حطيب مدحج .

وهناك غير هؤلاء كثيرون ذكرت مصادر الأدب والتاريخ أسماءهم . وهذه الكثرة تدل دلالة طاهرة على رقي النثر الفني في تلك العترة . كما تدل على اردھار الخطابة وسمو منزلتها في الأدب الجاهلي .

نماذج من الخطابة الجاهلية :

ونسوق الآن بعضاً من النماذج التي وقفنا عليها من الخطب الجاهلية لنقف على أنماط الخطابة لدى الجاهليين وسانها ، ومكانتها عندهم .

١ . " أكنم بن صيفي " يعزى " عمرو بن صلد " ،

قال " أكنم بن صيفي " يعزى عمرو بن هند " ملك العرب عن أخيه

أيها الملك ! إن أهل الدار سفر لا يحلون عقد الترحال إلا في غيرها . وقد أتاك ما ليس ببردود عنك ، وأرنحل عنك ما ليس براجع إليك ، وأقام من سنتلين عنك ويدعك ، إن الدنيا ثلاثة أيام فامس عجلة وشاهد عدل فحكك ثممسه وألقى لك وعليك حكمه ، واليوم غنيمة وصديق أنك ولم تأته ، طالبت عليك غنيمة ، وسسرع عنك رحلقه ، وغد لا تدري من أهله . وسبائك إن وحدك فما أحسن الشكر للجمع والتسليم للقادر ، وقد محنت لنا أصول نحن فروعها . فما بقاء الفروع بعد أصولها " وأعلم أن أعلم المسيئة سوء الحلف منها ، وحيز من الخير معطيه . وشر من الشر فاعله

٣ . خطبة قس بن ماعدة في صوم عكاظ .

روى " أبو الفرج الأصفهاني " عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم وفد إياد على النبي ﷺ قال : ما فعل قس بن ساعدة ؟ قالوا مات يا رسول الله قال : كأنني أنظر إليه بسوق عكاظ على حمل له أوزق . وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة . ما أحدني أحفظه ، فقال رحل من القوم : أنا أحفظه يا رسول الله . قال كيف سمعته يقول ؟ قال سمعته يقول :

أيها الناس : اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت أت ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، بحار تحجر ، ونجوم تزهر ، وضوء وظلام وبر وأثام ومطعم ومشرب ، وملبس ومركب ، مالي أرى الناس يدهيون ولا يرجعون ؟ أرضوا باللقام فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا ؟ والله قس ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد اطلقكم زمانه ، وأدرككم أوانه أو أنه ، فطوبى لمن أدركه فاتعه . وويل لمن خالفة ثم أنشأ يقول :

ففي الـذاهبين الأوليين

من القرون لنا بصائر

لمارأيت مواردا

للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحروها

يمضي الأضاغر والأكابر

أيقنت أنني لا محال

لة حيث صار القوم صائر

٣ . خطبة أبي طالب عم الرسول ﷺ في تزويج خديجة بنت خويلد .

قال أبو طالب : " الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وررع إسماعيل ، وجعل لنا بلدا حراما ، وبيتاً محجوبا ، وجعلنا الحكام على الناس . تم إن محمد ابن عبد الله بن أخي من لا يورث به فتى من قرينتي إلا رجح عليه برأ وفصلا ، وكرما وعقلا ومجداً ونبلا . وإن كان في المال قل فالمال ظل زائل وعارية مسترحة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتكم من الصداق فعلى .

٤ . خطبة صاهم بن عبد المطلب في إخراج العبيد .

قال هاشم :

يا معشر قرينش . أنتم سادة العرب ، أحسنها وجوها ، وأعظمها أحلاماً ، وأوسطها أنسابا ، وأقربها أرحاما ، يا معشر قرينش : أنتم جيران بيت الله ، أكرمكم بولايته ، وخصكم بجواره دون إسماعيل وحفظ منكم أحسن ما حفظ حار من جاره ، فأكرموا ضيفه وزوار بيته . فإنهم يأتونكم شعناً غيراً من بلد نورب هده النية لو كان لي مال يحمل ذلك لكهيتمود . ألا واني مخرج من بيت مالي وحلاله ما لم تقطع فيه رحم ولم يؤحد بظلم ولم يدخل فيه حرام فواضعه . فمن شاء منكم أن يفعل منها ذلك فعل .

وأسألكم بحرمة هدا البيت ألا يخرج رحل منكم لكرامة زوار بيت الله ومعونته إلا طيبا لم يؤحد طلما ولم تقطع فيه رحم ولم يغتصب .

التعريف بالخطيب :

هو " عمرو بن عبد مناف والد عبد المطلب " حد الرسول ﷺ . كانت له سفابة الحجاج وإطعامهم . وكان أول من سن رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة

الضيف إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام ، وكان أحد الأجواد الذين ضرب بهم المتل في الكرم وحسن الضيافة . أنقذ قريشا من محاعات كثيرة ، وحماها من نوازل عديدة ، كادت أن نهر كيانب ، وشنتت شملها ، وهو أول من هشم التريد لقومه ، ولذلك غلب عليه اسم " هشام " . مات وهو في طريقه إلى الشام .

مناسبة الخطبة :

لما كانت سقاية الحجيج مسندة إلى " هشام بن عبد مناف " ، ولما كان العرب يحجون بيت الله الحرام كل عام كان على " هشام " ألا يدخر وسعا في توفير سبل الراحة والأمان لهم ، وبالفعل كان " هشام " يبدل قصارى جهده ووقته ليؤمن البلاد ، ويعبد السبل ، ويكرم الحجيج ، وكان من ذلك تكرار حثه لقريش على أن تعطي وتبدل وتكرم الحجيج ، وهذه الخطبة أثمر من آثار اهتمامه البالغ بالحجيج .

معاني المفردات :

- ١ . الأعلام : العقول .
- ٢ . أوسطها أنسأيا : أفضلها أنسأيا
- ٣ . أقربها إرحاما : أشدها قرانة
- ٤ . أكرمكم بواليتنه : شرفكم بأن جعلكم قائمين على رعاية البيت .
- ٥ . إسماعيل : هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام
- ٦ . احسن ما حفظ جار من جاره : أكرمكم بأن أحللكم بلدا آمنا
- ٧ . الأشعث : الملدد الشعر من وعتاء السفر
- ٨ . الببية : وهي الكعبة

٩. لكتبتموه : أي لو كان لي مال عنكم كل ما يقدم لحجاج بيت الله .
١٠. مواضعه : أي محصاة لحجاج البيت .
١١. بحرمة هذا البيت : بحقه عليكم

أفكار لخطبة :

تقوم خطبة صفاء على ثلاث أفكار هي :

١. مدح قريش والثناء عليها .
٢. بيان تكريم الله لهم بأن جعلهم جيران بيته الحرام .
٣. حمل قريش على النذل والعطاء وإكرام الحبيب .

الدراسة والتعليق :

هذه خطبة من الخطب الكثيرة التي ورثناها عن أجدادنا الجاهلين ، قالها هشام بن عبد مناف ليحث قومه على حسن استقبال الحبيب ، وإكرامهم ، والعناية بأمرهم . وقد حاول هشام أن تتضمن خطبته ما يكفل لها بأن تكون حقيقة بإقناع من وجهت إليهم ، فالخطابة تقوم أولاً وأخيراً على الإقناع . والخطيب مطالب قبل كل شيء بأن يقنع جمهور المخاطبين بما يقول . وإذا لقينا نظرة سريعة على الخطبة لاحظنا أنها تتضمن ثلاث أفكار ، جعلها الخطيب محوراً ، أدار حطنته حوله ، فكأني به من حلال هذه الأفكار قد قسم حطنته إلى مقدمة ، وموضوع ، وخاتمة .

وإذا أمعنا النظر في المقدمة رأينا أنها تتضمن الثناء على قريش وابتداحهم بالشرف والرفعة وطهارة النسب ، وعراقة الأصل ، وكرامة المنبت ، وأرى أنه فعل

ذلك ليستميل عقولهم وقلوبهم إليه ، وليعطوه آذانهم ومشاعرهم ، ومن ثم يكون قريبا منهم ملتحما بهم .

أما الموضوع فبتضمن لعت أحوالهم إلى قدوم الححيح شعناً غمراً ، قد نالت منهم الغربة ، وأنيكهم السفر ، وأرهقهم التنقل وطول الطريق ، كما يتضمن الموضوع أيضاً لفت أنظار قومه بأن الله قد كرمهم ، ورفع منزلتهم بأن جعلهم حوار بيته الحرام .

أما الخاتمة فقد ضمنها الخليل الغرض الذي من أجله أنشأ خطبته ، وهو الحث على إكرام الححيح ، وحسن استقبالهم ووفادتهم ، والعمل على راحتهم وأمنهم .

وقد حفلت الخطبة ببعض الألوان الفنية التي أضفت عليها الروعة والجمال ، وأكسبتها البراعة والجلال ، وقد تعددت الأوان الفنية في الخطبة ، وتقف فيها على الصور البيانية ، والأساليب الإنشائية . وكذلك الأساليب الخيرية

١. فمن الصور البيانية " يأتونكم شعناً غمراً " بهذه كناية . أوردها هشام " في صورة حسية أعطت المعنى وضوحاً ، ومنحته قوة وتأثير ، وقد أوردها الخليل ليثير في نفوس قريش الرغبة في إكرام الححيح ، ولحفزهم على العدل والعطاء ، ومن الصور أيضاً قوله " أحسنها وحدها " فهذه كناية عن الشرف والروعة ، وقوله " أوسطها نسناً " كناية عن عزاقة الأصل ، وكرم المنبت ، وقوله " بيت آل " له كناية عن الكعبة المشرفة .

٢. وقد نوع هشام أسلوبه بين الأسلوب الخبري والإنشائي ، فمن الأساليب الإنشائية في حديثه قوله " يا معشر قريش " وقد كرر هذا

النداء رغبة منه في استمالة قلوبهم والاستحواذ على عقولهم ، ومن الأساليب الإنشائية كذلك قوله : " أكرموا ضيفه " ، وقوله : " أسألكم بحرمة هذا البيت ، ومن الأساليب الخبرية قوله : أنتم جيران بيت الله " وقوله : " أنتم سادة العرب " .

٣. امتاز الخطبة بترتيب أفكارها ، حيث نلاحظ أن كل فكرة تسلم للأخرى ، وهذا ما أعطى للخطبة تماسكاً ، ومنحها تلاحماً وقوة سبك .

٤. خلت الخطبة من الألفاظ الغريبة ، فالفاظها سهلة مأنوسة ، لا غرابة فيها ، ولا حوشية ، فالألفاظ ذات معان واضحة ، لا تكذب الذهن ، ولا ترهق الفكر في استخراجها والوقوف عليها .

٥. أما معاني الخطبة فهي واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ، فلم نقف في الخطبة على غموض أو إغراق في معانيها ، كما لم نقف على تدخل ولا تعطل بين دلالاتها .

٦. خلت الخطبة من دلائل الصنعة التكلف ، فلم نقع فيها اهتمام كبير بالمحسنات البيعية والصنعة اللفظية ، وهذا ما يجعلنا نقول إن الرجل لم يتكلف في أداء خطبته وإسا ترك نفسه على سحيتها .

٧. الخطبة تشير دون شك إلى تغلغل الروح الدينية في نفوس العرب ، فقد كانوا يكبرون البيت الحرام ويعظمونه ، ويكرمون زواره والوافدين إليه

الوصايا :

الوصية : في الحقيقة الأمر توجيه سديد ، وضح خالص ، وإرشاد سليم . وحث على التمسك بأمر مهم وحظير ، والوصايا تصدر - عادة - من أساس عمروا طويلاً ، وخاضوا كثيراً من التحارب ، وعركوا الحياة وعركتهم ، وخبروا كثيراً من أمورها وشتى شئونها حتى أصبحوا على دراية كبيرة بعواقب الأمور وعلى علم تام بما ينفع ويضر ، وبناء على ذلك نجد أن الوصايا تصدر في الغالب الأعم من أب رحيم على أبنائه أو أم حانية على بناتها ، أو زعيم راع على قومه .

دواعي الوصايا :

وهناك دواع تفرض على ذوي التجارب العريضة والآراء السديدة والعقول المستنيرة أن يقوموا بإصدار الوصايا وإرسالها ، ولعل من أهم هذه الدواعي الشعور بقرب الأجل وانتهاء الأمل ، والإحساس بتغير الأحوال ، ونزول الخطر .

نماذج من الوصايا في العصر الجاهلي :

١ . ذؤيب الصبي العروذي يوصي ابنه أسيراً

قال ذو البصيص :

يا بني إن أباك قد هسى وهو حي ، وعاش حتى سيم العيش ، وإسي بوصيك
 ما إن حفتته بلغت في قومك ما بلغتني ، لاحظ على ألبن حائكك لقمك
 بحدك وبواضع لثم يرتعوك واسط لثم وجهك يطيعوك ولا ستأثر عليهم بتيء
 يسودوك وأكم صغارهم كما نكرم كبارهم بكرمك كبارهم ويكسر على مودتك
 صغارهم . واسمع سالك واحم حريمك ، واعرز جارك ، وأعن من استعان بك .

واكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريح فإن لك أحلاماً لا يعدوك ، ورضن وجهك عن مسألة أحد شيئاً فندك سؤددك .

التعريف بصاحب الوصية :

هو حرثان بن الحارث العدواني ، عاش في العصر الجاهلي ، وعمر طويلاً . يعد من حكماء العرب ، وهو إلى جانب ذلك من الشعراء الفرسان ، فقد شهد وقائع كثيرة ، وخاصة معارك مشهورة ، وله شعر جيد ، وسمى ذا الإصبع لأن حبة نهشت إبهام قدمه فقطعه ، أو لأنه كانت برجله إصبع زائدة .

معاني المفردات :

- ١ . **سئم العيش** : كره الحياة .
- ٢ . **البن جانبك لقومك** : كن رقيقاً بهم في معاملتك إياهم .
- ٣ . **أبسط لهم وجهك** : أي كن طليق الوجه ، ودع العيوس والاقتصاص .
- ٤ . **ولا تستأثر عليهم** : أي لا تؤثر نفسك بشيء دونهم .
- ٥ . **يسودك** : أي يجعلونك سيئاً .
- ٦ . **واسمح بمالك** : أي لا تكثر حبلأ . وكن حواداً كريماً .
- ٧ . **واحم دريمك** : حافظ على حرمتك واحم كل ما يحب حمايته .
- ٨ . **واعزر حازك** : اصرد وكن سندا له .
- ٩ . **الصريح** : المستغيث .
- ١٠ . **لا يعدوك** : أي لا يتجاوزك أو يتحداك .
- ١١ . **رضن وجهك** : احفظ ماء وجهك وحافظ على عرة نفسك .
- ١٢ . **السؤدد** : الشرف .

أفكار الوصية :

ترور وصية • ذبي الإصبع • حول مرة أفكار ، يحملها في (النقاط التالية) :

- ١ . كبر سنه وتأفقه من الحياة ويغضه لنا .
- ٢ . الشيم الحميدة والحلال الكريمة التي تجعل المرء سيدا في قومه .
- ٣ . نجدة الصريح .
- ٤ . الانتعاد عن مواطن الذل .

معنى الوصية :

عندما نقرأ الوصية نلاحظ أن ذا الإصبع العدواني بدأ وصيته بالإشادة إلى أنه عاش عمرا طويلا ، وأنه خاض نجارب الحياة العريضة ، حتى أصبح عليمأ سأمور قد نخسى على الصغار ، وأنه أصبح على مشارف الموت ، وأكبر الظن أنه فعل ذلك ليشير إلى خطورة ما يريد أن يوصى ابنه به ، وكذلك ليؤكد صدق ما يقول ، لأن ما يقوله نتيجة خبرته الطويلة في الحياة ، ثم أخذ ذو الإصبع يوصى ابنه ، ويحثه على أن يتمسك بمكارم الأخلاق ، وحميد الصفات أن يطرح الكرحاسأ . ويتمسك بالتواضع . فإنه إن فعل ذلك نال الخطوة في قومه ، والصفة الثانية التي حدث ذو الإصبع ابنه على أن يتمسك بها هي صفة بسط الوجه وترك العيوس والتحيم ، وأحد ذو الإصبع بعد ذلك في سرد الخلال الكريمة ووضعها إراء ابنه لتمسك بها كالكرم . ونجدة الصريح . والانتعاد عن مواقف الدل

تطيل الوصية :

١ لم يحتم " ذو الإصبع " مرة واحدة على ابنه ليوصيه . وإسا قام بتمهيد بذاته الوصية الملح فيه إلى كبر سنه ، وقرب أجله . وشعوره بالخطر ، وقد فعل ذلك ليستميل قلب ابنه إليه ، ولتكون وصيته ذات أثر فعال

٢. انتقل " ذو الإصبع " من التمهيد إلى ما يكفل لابنه حياة سعيدة كريمة في قومه ، فجعل يضع أمامه الخلال الطيبة التي تجعله في ألفة تامة .
وود مستمر مع أبناء قومه .
٣. يلاحظ أن " ذو الإصبع " قرن كل صفة بنتيجتها المترتبة عليها ، وليس الجانب يميل القلوب ، والتواضع يرفع صاحبه .
٤. وأهم ما يميز الوصية أن جملها قصيرة ، وعبارتها موجزة ، وأسلوبها قوى ومعانيها واضحة لا غموض فيها ولا التواء ، ومن ثم كانت الوصية أبلغ في التأثير واحطي بالقبول .

الأمثال:

المتل : قوله مؤخر مشهور يشبه به حال الذي حكى فيه بحال الذي قبل لأحله ، ولكل مثل مورد ومصرّب ، فالمراد هو الحال التي قيل فيها المتل ، والمضرب هو الحال التي يقال فيها ، وتتميز الأمثال بأنها تصدر من وحي العطرة السليمة ، تحت تأثير من الشعور الصادق ، والتحارب الفعلية .

وتتميز الأمثال كذلك بإيجاز ألفاظها ، وإحسان معانيها ، وما تتضمن عليه من حسن التشبيه ، وحوية الكناية ، ومن ثم فهي تهب الكلام رونقاً ، وتفرع عليه قولاً وحسناً .

وقد اهتم كثير من العلماء بجمع الأمثال وشرحها ، في مصادر مستقلة مثل كتاب " الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام " ، و" الأمثال " لأبي بكر الصديق " ، و" الأمثال " للمفضل الضبي " ، و" حمهرة الأمثال " لأبي هلال العسكري " ، و" المستقصى " للرمحشيري " ، و" مجمع الأمثال " للميداني " ، ويعد هذا الكتاب من أوفى الكتب وأفضلها وأشملها التي ألقت في هذا الموضوع ، وقد جمعه الميداني من خمسين كتاباً ، ألقت جميعها في الأمثال ، ثم قام بترتيب أمثاله على حروف المعجم بعد أن أصاب إليها أمثال المولدين

وأمثال الجاهل سحل حافل يضم كل ما يتصل بحياتهم الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية . ويشير إلى كل ما تحتوي عليه بيئتهم من حيرانات أو رواجف أو حشرات أو طواهر طليعية ، والنظري مجموع الأمثال الجاهلية يحد أنها صورت الحياة الجاهلية تصويراً دقيقاً ، وهذا ما يحدو بنا إلى أن نقول بكل اطمئنان إن الأمثال الجاهلية كانت بمثابة صورة صادقة للحياة الجاهلية ، وإنها

كانت بحق صوت المجتمع الجاهل الذي حسد آماله وأحلامه وآلامه وأتراحه وأتراحه . فمن الأمثال التي تعطينا صورة صادقة عن حيانهم السياسية وما كان يسرى خلالها من خصومات بين الإمارات العربية والقائل المخلتة قولهم :
 " أشام من البسوس " ، وقولهم : " لا ناقة لي فيها ولا حمل " ، وقولهم : " أخرى من
 داحس " .

ومن أمثالهم التي تعطينا صورة صادقة أمينة عن مط حياتهم الاقتصادية
 قولهم : " إنما الدلو بالرشاء " ، وقولهم : " أنفك منك وإن كان أجدع " .
 ومن أمثالهم التي تشير إلى ما كان يقع عليهم من خطوب وكوارث قولهم :
 " سبق السيف العذل " ، وقولهم : " رأى فاتر وعدو حاصر " ، وقولهم : " بالصيف
 صعيص اللب " .

ومن أمثالهم التي تشير إلى قوة إدراكهم لبواطن النفس البشرية قولهم :
 " حبك للشيء يعمى ويصم " ، وقولهم : " رب أخ لم تلده أمك " ، " مقتل الرجل بين
 فكيه " ، والمكثار كخاطب ليل " .
 واليك طائفة من أمثالهم لنقف من خلالها على سمات الأمتال وما تميزت به .

١ . لا تعدو العصاء ظاماً ،

يصرب متلاً للشيء الفاضل يكون فيه ما يشينه .

وأول من قال ذلك " حبي بنت مالك العدوانية " وكانت حميلة فخطبها
 مالك بن عسار " ، فلما حملها قالت أمها لتسويها إن لنا عند الملامسة رشحة ،
 فإذا أردت إدخالها على زوجها فمحر أعطافها بما في أصدافها ، فلما أردن ذلك
 بها أعجلهن زوجها عن تطيبها ، فوجد منها رويحة ، فلما أصعب فيل له كبر

رأيت طروقتك ؟ قال : لم أر كالليلة لولا رويحة أنكرتها ، فقالت من خلف الستر ،
لن تعدم الحسنة ذاماً فذهبت مثلاً .

٢ . واضح من طبقة ،

وقصة هذا المتل أن شنأ كان رجلاً من عقلاء العرب ، قال والله لأطوفن
حتى أجد امرأة مثلي فاتزوجها ، فبينما هو في بعض مسيرة إذ وافقه رجل في
الطريق فسأله شنأ أين تريد ؟ فقال : موضع كذا ، يريد القرية التي يقصد لها شنأ ،
فوافقه فلما أخذنا في مسيرها قال له شنأ : أتحملي أم أحملك ، فقال له الرجل :
يا جاهل أنا راكب وأنت راكب ، فكيف أحملك أو تحملي ؟ فسكت عنه شنأ
وسار إذا قربا من القرية إذا هما بزرع قد استحصد ، فقال له شنأ أتري هذا الزرع
أكل أم لا ؟ فقال الرجل يا جاهل ترى نباتاً مستحصداً فتقول أتراه أكل أم لا ،
فسكت عنه حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة ، فقال شنأ أتري صاحب هذا
انعش حيا أم ميتا ؟ فقال له الرجل ما رأيت أحيل منك ، نرى جنازة فتسأل
أميت صاحبها أم حي ؟ فسكت عنه شنأ وأراد مفارقتة ، فأبى الرجل أن يتركه
حتى يصيربه إلى منزله فمضى معه . وكان للرجل ابنة يقال لها طبقة فلما دخل
عليها أبوها سألته عن ضيفه فأحبرها بمرافقتة إياد وشكا إليها حبله وحدثها
بحدثه ، فقالت يا أبة ما هذا بحائل .

أما قوله أتحملي أم أحملك فأراد أتحدثني أم أحدثك حتى تقطع طريقنا ،
وأما قوله : أتري هذا الزرع أكل أم لا فإنما أراد أناعه أهلوه فأكلوا منه أم لا ، وأما
قوله في الجنازة فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم نكره أم لا ؟ فخرج الرجل فقعد مع "
شنأ" فحدثه ساعة ، ثم قال له أتحب أن أفسرك ما سألتني عنه ؟ فقال . نعم .

ففسره، فقال: " شن " ما هذا من كلامك فمن صاحبة؟ قال انة لي . فخطبها فزوجه إياها فلما رأوها قالوا وافق شن طنقة يضرب مثلاً .

٣ . جوع كليك يتبعك ،

يضرب لما ينبغي ان يعامل به اللثام .

أول من قال ذلك ملك من ملوك حمير كان عنيفاً على أهل مملكته ، يعتصب أموالهم ، ويسلبهم حقوقهم ، وكانوا يخبرونه أنه سيقتل ، فلا يحفل بذلك ، وأن امرأته سمعت أصوات السؤال فقالت : إنني لأرحم هؤلاء لما يلقون من الجهد ونحن في العيش والرغد ، وإنني لأخاف أن يكونوا عليك سباعا ، وقد كانوا لنا أتباعا فرد عليها ، جوع كليك يتبعك ، فأرسلها مثلاً ، فلبث زمانا ثم أعزاهم فغنموا وحرّمهم من الغنيمة ، فقالوا لأخيه وكان أميرهم ، إنا نكره خروج الملك سيكم وقد ترى ما نحن فيه فساعدنا على التخلص منه وأجلس مكانه فوثقوا ليه فقتلوه ، فمر به " عامر بن جديمة " وهو مقتول وقد سمع بقوله : جوع كليك يتبعك فقال ربما أكل الكلب مؤدبة إذا لم ينل شبعه ، فأرسلها مثلاً يضرب لما ينبغي أن يعمل به اللثام

٤ . لا تطر بعد عروس ،

يضرب لمن لا يحد عنه نحيس .

وأول من قال ذلك امرأة من عدرة ، يقال لها " أسماء بنت عبد الله " ، وكان لها زوج من بني عمها يقال له عروس ، فمات عنها ، فتروحها رجل من قومها يقال له نوفل ، وكان أعسر أضر بخيلاً دميماً ، فلما أراد ان يطعن بها قالت له

لو أدنت لي فرثيت ابن عمي وبكيت عند رمسه ، قال : افعلي . فأشأت تقول
يا عروس الأعراس ، يا أسداً عند الناس ، مع أشياء ليس يعملها الناس . قال
نوفل : وما تلك الأشياء ؟ قالت : كان عند الهمزة غير نعاس ، ويعمل السيف
صباحات الباس ، ثم قالت : يا عرس الأعراس الأزهر الطيب الخيم ، الكريم
العنصر ، مع أشياء ليس تذكر ، قال : وما تلك الأشياء ؟ قالت : كان عيوننا للخنا
والنكر ، طيب النكهة غير أبخر ، أيسر غير أعسر ، فعرف أنها تعرض به فلما رحل
بها قال : أيتها المرأة ضمي عطرك ، ونظر على قشوة فيها عطرها مطروحة ،
فقال : لا عطر بعد عروس فدهست متلاً ، ويقال إن رجلاً تزوج امرأة فوجدها
تفله فقال لها أين الطيب ؟ فقالت حذائه ، فقال : لا عطر بعد عروس ، يصر
لن لا يدخر عنه نفيس .

٥ . ربه صاع لقاعد :

أول من قاله النابغة الديباني شاعر النعمان بن المنذر ، وقصة هذا المتل أن
وقدأ من وهود العرب أنى النعمان بن المنذر ، وكان فيهم رجل من بني عيس يقال
له شقيق ، فمات عنده ، فلما حيا " النعمان " الوهود بعث على أهل شقيق بمنل
حناء الوهود فقال النابغة : رب ساع لقاعد .

٤ . جزاء صغار :

يضرب لمن يجزي بالإحسان الإساءة .

ومعنى هذا المتل أن حزائي حراء صغار ، وسنمار رجل رومي بني الحويرق
للنعمان بن امرئ القيس ، ولما فرغ منه ألقاه " النعمان " من أعلاه فخر مبتأ ،
وإما فعل ذلك به لتلا يدي منله لعيه ، فصربت العرب به المتل لمن يحري
بالإحسان الإساءة .

الحكم :

الحكمة قول يتسم بالإيجاز، يتضمن حكماً إما يحث على الخير، ويدعو إلى الفضيلة، وإما ينهي عن الخبث، ويكف عن الشر، فالأمة العربية من أكثر الأمم إرسالاً للحكمة وإعزازاً لها، ويرجع ذلك إلى كثرة تجارب أبنائها في الحياة، وحصانة عقولهم، ورحابة تفكيرهم من ناحية، ويرجع كذلك إلى فصاحتهم النادرة، وقوة تمكنهم من زمام الأساليب من ناحية أخرى.

والملاحظ أن الحكمة تجيء في الشعر كما تجيء في النثر، فتقف عليها في الشعري صورة أبيات منظومة وموزونة داخل القصائد الطويلة، وتقف عليها في النثر الجالي في صورة عبارات دقيقة قصيرة موجزة من الوزن، تتضمن خلاصة تجارب عريضة لأفراد أو جماعات.

وقد حفظت لنا كتب الأدب ومصادر التاريخ كثيراً من أعلام الحكمة في العصر الجاهلي في الشعر والنثر، فمن حكماء الجاهلية، " ذوالإصبع العدواني " واسمه " عامر بن الحلرب "، و " قيس بن ساعدة الإيادي "، و " طرفة بن العبد "

وللحكمة أثر بالغ في الكلام، فهي تورث بهاء وقبولا، وتمنحه عدوبة وشرفاً، وتزيف به، وتضعه في منزلة سامية، ومن ثم تقبل عليه انفس البشرية في لهفة، ويراح إليه الأفتدة، وتطمئن إليه الأدهان، فالكلام الذي يشتمل على الحكمة يكون أمتع في الصدور وأوقع في النفوس، وأنقى في الأسماع، وأسير في الأفتان، ولا سب في ذلك، فالحكمة تنير في النفوس حد العصيلة وتدعو إلى الهداية وتحت على مكارم الأخلاق.

ورثيك طائفة من حكم (الجاهلية) :

قال أكنم بن صيفي (١) .

حيلة من لا حيلة له الصبر .

العافية الملك الخفي .

من لم يأس على ما فاتته أراح نفسه .

عدو الرجل حمقه وصديقه عقله .

الكرم حسن العظيمة وحسن التغافل ، واللؤم سوء التغافل .

الحر حر وإن مسه الضر . والعبد عند وإن كان في رعد

الحر لا يكون صريع بطله ولا فرجه .

أحق من يشركك في النعم شركائك في المكاره .

الانقاص عن الناس مكسبة للعداوة وإفراط الأُنس مكسبة لقرناء السوء .

إن سرك من دمك فانظر أين يريقه .

لا تفش سرك إلى أمة ولا تنل على أكمة

الصمت يكسب أهلة المحبة .

وقال أيضا (٢) :

من لا حاك فقد عداك ، فصل القول على الفعل دواء ، وفصل الفعل على

القول مكربة . المناكح الكريمة من مدارج الشرف . الوقوف عند الشبهة خير من

افتحام الهلكة من يصحب الرمان ير الهوان . في كل عام سقام ومن كل حبة

عبرة كل درجة ترحة . من مأمته يؤنى الحدر . رب صابنة غرست من لحتلة .

١ - نكتة بر صيفي ومترانه د . كصم الطواهر ص ٢١٣ وم بعدها دار الصابوني - ط ٢ - ١٩٩١م

٢ - السابق ٢٠٨

ورب حرب شبت من لفتة . رب كلمة سلبت نعمة . رب ملموم لا دنب له . رضا الناس غاية لا تدرك . خير السخاء ما وافق الحاجة . ومن عرف قدره لم يهلك . ومن صبر ظفر . وأكرم أخلاق الرجال العدو .

حكم للصعق بن عمرو بن النهدي^(١) :

قال ابن دريد أخبرنا السكن بن سعيد الرموزي عن محمد بن عباد عن الكلبي قال : وفد "الصعق بن عمرو النهدي" في عشرة من بني نهد على "النعمان بن المنذر" . وكان الصعق رجلاً قصيراً دميماً تفتحه العين شريفاً بعيد الصوت . وكان قد بلغ النعمان حديثه . فلما أخبر النعمان بهم قال للأذان : ائذن للصعق . فنظر الأذن إلى أعظمهم وأجملهم . فقال : أنت الصعق ؟ قال : لا . فقال للذي يليه في العظم والهيئة : أنت هو . فقال لا : فاستحيا . فقال ايكم الصعق ؟ فقال الصعق : الصعق ؟ فانذا فأدخله إلى النعمان . فلما رآه قال تسمع بالبعدي حير من أن تراه ! فقال له الصعق : أبيت اللعن : أن الرجال ليسوا بالمسوك يستقسي فيها . أما الرجل بأصغريه بلسانه وقلبه ؟ أن قاتل قاتل حنان . وأن نطق نطق ببيان . فقال له النعمان : فله أبوك . فكيف بصرك بالأمور ؟ فقال : أنقض منها المفتول ؟ وأبرم منها المسحول وأحليها حتى تحول . ثم أنظر إلى ما يثول . وليس لها بصاحب من لم ينظر في العواقب . قال : قد أحلت وأحسن . فأخبرني عن العز الطاهر والعقر الحاصر قال أما الطاهر فالشاب الضعيف الحيلة المتنوع للحيلة . الذي يحوم حولها ويسمع قولها . إن غضبت ترضها وإن رضيت تعداها . فذاك الذي لا كان ولا ولد النساء مثله .

١ - تعليق من لثالي ابن دريد ٢٢٤ - ٢٢٥ . ومعنى الصعق : الطويل . والمسك الحذ أو حاص بالمحلة . والسحل لدى قوة واحدة . داء . عياه . لا برامه . سبع فلانا شتمه وقع فيه

وأما العقر الحاضر فالذي لا تشع نفسه ، وإن كان له قنطار من ذهب .
قال فاحبرني عن السوءة السوداء والداء العياء . قال أما السوءة السوداء فالمرأة
السليطة التي تعحب من غير عجب ، وتغضب من غير غصب ، فصاحبها لا ينعم
بأله ولا يحسن حاله ، إن كان ذا مال لم ينفعه ، وإن كان فقيراً عيره ، فأراح الله
منها بعلها ، ولا متع بها أهلها

وأما الداء العياء فالجار حار البيت إن شهدك شافهك ، وإن غبت عنه
سبعت . وإن قاولته بهتك ، وإن سكت عنه ظلمك ، فقال له النعمان : أنت أنت !
فأحسن صلته وصلة أصحابه .

وقال . عامر بن الظرب العدواني .^(١) :

يا معشر عدوان : الخير ألوف عروف ، وإنه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه .
وإني لم أصبح حكيماً حتى صاحبت الحكماء ، ولم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم .
وقال . النعمان بن المنذر . :

من سأل فوق قدره استحق الحرمان ، ومن ألحف في المسألة استحق الرد .
والرفق بمن . والحزن شؤم ، وخير الطاعة ما وافق الحاجة ، وخير العفو ما كان مع
القدرة^(٢) .

وقال أيضاً^(٣) :

الملك حلوا الطعم مر التكليف ، وكان يقول من حان حان . ونما وقع في
حس البرويز وأشرف على التلف قال . من له يدان بغوائل الزمان ، ومن كلامه
الملك عقيم أي لا أرحام بين الملوك وبين أحد .

١- لمالي لأبي القاسم ١٧٩ / ٢ .

٢- كتب الأديب لخمير بن شمس الخلافة ص ١٨ .

٣- الإعجاز والإيجاز لشعاني ص ١١ - ١٢ ومعنى جن ، الحزن السود أي من حذق وغش يسود وجهه يوم الشير
وعوائل جمع عائلة وهي اندافية المهلكة

وقال عمرو بن هند^(١) :

السلاح ثم الكفاح والمحاضرة، وكان يقول الملوك يشتمون بالأفعال لا بالأقوال، ويتسفتون بالأيدي لا بالأسن.

وقال الحارث بن أبي شمر الغساني ملك عرب الشام^(٢).

إذا التقى السفيان بطل الحيار، وكان يقول من اغتر بكلام عدوه فهو أعدى عدولنفسه، ومن كلامه الفرصة سريعة الفوت بطبئة العود.

وقال حسان بن تبع الحميري: أحد ملوك اليمن^(٣) :

لا تتقن بالملك فإنه ملول، ولا بالمرأة، فإنها خؤون، ولا بالداية فإنها شرود، ومن كلامه المعروف حصن النعمة من صروف الزمن، وضروب المحن.

١- السق ص ٦٢

٢- السق ص ٦٣

٣- السق ص ٦٣

الشعر في العصر الأموي

إذا نظرنا إلى بيئة الشعر في العصر الأموي نجدها قد تغيرت وتطورت فهذه مكة والمدينة قد تحضرتا وكثر فيهما الترف والرقى ، والعبيد والمغنيات والمغنيين والإماء ، واكتملت لها كل أسباب المرح البرئ الذي قوامه الذوق الراقى المهذب ، مما جعل أهلها يحزنون على فراقها كما حدث لأبي فطيفة الأموي حين نفاه ابن الزبير إلى دمشق أخذ يبكي بلدته في شعر مؤثر مقارناً بينهما وبين دمشق ، ولا نقرأ هذا الشعر حتى نحس كأنه طرد من فردوسه الأرضي يقول في مطلع قصيدة له :

القصر فالتحلل فالجماء بينهما

أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

ويقول :

أقطع الليل كله باكتتاب

وزفير فما أكاد أنام

وكان للحروب الدامية والمعارك العنيفة ، والثورات المتلاحقة التي شهدتها العصر الأموي أثر كبير في إذكاء روح الشعر ، وإشعال ناره إذ كان يجري على كل لسان ، واتخذه الأمويون وخصومهم أداة للتعبير عن آرائهم السياسية المختلفة ، وتأييداً لمذهبهم ، ودفاعاً عنه ، ورداً على الآخرين ونقضا لهم .

وقد ظهرت أغراض جيدة في الشعر في هذا العصر على رأسها الغزل ، إذ كان في العصور السابقة يتخذ بداية ومقدمات للقائد في مختلف أغراضها ، أما في العصر الأموي فقد أصبح فناً مستقلاً قائماً بذاته عند كثير من الشعراء في

مقدمتهم (عمر بن أبي ربيعة) إذا جعل ديوانه كله غزل وكذلك ظهر شعر النقائض على يد جرير والفرزدق والشعر التعليمي والرجز إلى غير ذلك من الأغراض التي جرت في هذا العصر .

وقد أثر الإسلام في موضوعات الشعر الأموي تأثيراً واضحاً ، فنرى الغزل وقد تطهر وصفي مما كان عليه من قبل ، ونشأ الغزل العزبي وكأنما أضفى الإسلام على المرأة وعلاقتها بالرجل عند هؤلاء الشعراء ضرباً من القدسية أحاطها بهالة من الجلالة والوقار . كما نرى في شعر عمر بن أبي ربيعة وغيره .

أما شعر المديح فقد تحول إلى تصوير الفضيلة الدينية في المدوح ، ووثق هذا التصوير في مديح الخلفاء والولاة أن الحكم والدين كانا مرتبطين ارتباطاً لا تنفصم عراه ، فنهض الشعراء يتحدثون عن تقواهم ، وأنهم يقيمون ميزان العدالة السماوية بين الرعية ، وعلى نحو ما تأثر المديح بالإسلام ، تأثر فن الهجاء كذلك . إذا أخذ الشعراء يهجون خصومهم بانحرافهم عن الدين ، فأطالوا في وصفهم بالفسوق والنهي والطغيان .

أما شعر الحماسة فقد كان أقوى في تأثيره بالإسلام . إذ كان أكثره ينظم في الجهاد ، وحب الشهادة والتضحية في سبيل الله .

كما طبع الرثاء بلباع الإسلام ومبادئه من التسليم لله بالرضا بعصانته . فكل نفس نائقة الموت ، وهو حسمٌ في رقاب العباد ، وعليهم أن يتدبروا إزاءه بالصبر الجميل .

هذا من ناحية موضوعات الشعر وأغراضه . أما من حيث الألفاظ والأساليب والأوزان ، فلم يختلف بناء القصيدة في هذا العصر عنه في عصر الجاهلية وصدر الإسلام فقد اشتملت على عدة عناصر من الأغراض والمقاصد

فكان الشاعر يبدأ بالنسيب وذكر الديار ثم يفخر بنفسه وقومه ، ثم يقتضب الكلام إقتضاباً ، وينتقل إلى الغرض الذي يقصده من مدح أو هجاء على ما كان متبعاً في العصر الجاهلي وعند شعراء الإسلام .

ولم يخرج شعراء هذا العصر في جملة تصورهم وتخييلهم عما الفوه في العصرين السابقين وإن خالفوهم في ترتيب الفكر ، وتقريب المعاني إلى الأذهان والوجدان بما هذب نفوسهم . ورقق طباعهم ، من دراسة كتاب الله وأحاديث رسوله الكريم ، بما نوع خيالهم ووسع معارفهم من مشاهد الحضارة وبدائع الصناعات .

كما لم يخرجوا جملة في تأليف ألفاظهم . ونسج أساليبهم عن نطائرهم في الجاهلية والإسلام ولكنهم أثروا جزالة اللفظ ، وفخامته وحسن جرسه ، ومؤلفته لسابقه ولاحقه دون غرابة أو تنافر ، ورسا تعتمد بعضهم الغريب ، ومداحلة بعض الكلام في بعض ليعجب علماء اللغة والنحو كالفرزدق ، كما أثروا حودة الأسلوب وروعة تأثيره ورقته وعزوبته في الغزل القصصي والنسيب والعفيف اللدوي .

هذا عن القصيدة أما الرجز فقد كانت الغرابة من ألزم طباعه . أما الأوزان والقوافي فلم يصحها تغيير يذكر عما كانت عليه من قبل ، ولكن شاع في هذا العصر نظم الأراجيز والتلويل فيها واستعمالها في جميع أغراض القصيدة ، حتى في افتتاحها بالنسيب والتخلص منه إلى المدح والزهد ونحو ذلك

جميل بثينة والحب العزري

"من بحر الطويل"

يقول جميل :-

ألا لَيْتَ أَيَّامَ الصَّفَاءِ جَدِيدٍ
ودهرًا تَوَلَّى يَا بَثْنَيْنُ بَعُودُ
فَنَقَتِي كَمَا كُنَّا نَكُونُ وَأَنْتُمْ
صَدِيقٌ وَإِذَا مَا تَبَذَّلِينَ زَهِيدُ
وَمَا أَنْسَى مَلَأَ شَيْءٌ لَا أَنْسَى قَوْلَهَا
وَقَدْ قَرِبتَ بِنُضُوي أَمْضَرُ تَرِيدُ
وَلَا قَوْلَهَا : لَوْلَا الْعَيُونُ الَّتِي تَرَى
أَتَيْتُكَ ، فاعْزُرْنِي فَدَتِكَ جُدُودُ
خَلِيلِي مَا أَخْفَى مِنَ الْوَجْدِ ظَاهِرُ
وَدَمَعِي بِمَا أَخْفَى الْعَدَاةَ شَهِيدُ
أَلَا قَدْ أَرَى وَاللَّهِ أَنَّ رَبَّ عُبْرَةَ
إِذَا الدَّارُ شَطَطَتْ بِنَقْدِنَا سَتْرِيذُ
إِذَا قُلْتُ : مَا بِي يَا بَثْنَةَ قَاتِلِي
مِنَ الْخُبِّ قَالَتْ : تَابَتْ وَيَزِيدُ
وَإِنْ قُلْتُ رَدَى بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ
مَعَ النَّاسِ قَالَتْ : ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ
فَلَا أَنَا مُرْدُودٌ بِمَا جَنَّتْ طَالِبًا
وَلَا حَبِيهَا فِيمَا يَبِيدُ

جزتك الجوازي يا بشين ملامة

إذا ما خليل بان وهو حميد

وقلت لها : بيني وبينك فاعلمي

من الله ميثاق له وغهوذ

وقد كان حبتكم طريقاً وتالدا

وما الحب إلا طارف وتليذ

وإن غروض الوصل بيني وبينها

وإن سهلتها بالمني لصعود

فأفنت عيشي بانتظار نوالها

وأبليت ذاك الذهر وهو جديد

الآنيت شعري هل أبستن لينة

بوادي القرى إني إذا لسعيد

وهل أهبطن أرضاً تظل رياحها

لها بالثايا القاويات وتبيذ

وهل ألقين سعدي من الذهر مرة

ومارت من حبل الصفاء جديد

وقد تلتقى الأهواء من بعد بأنة

وقد تطلب الحاجات وهي بعيد

وهل أزجرن حرقاً غلاة شملة

بخرق تباريها سواهم مؤوذ

على ظهر مرهوبٍ كأنْ نُشوزة
 إذا جازَ هلاكَ الطريقِ رُقودُ
 سنبتي بعيني جودرٍ وسطَ ريرب
 وصدرٍ كفا نُور اللجينِ وجيدُ
 فمن يُعطَ في الدنيا قريناً كميتها
 فذلك في عيش الحياة رنيدُ
 يموت الهوى منى إذا ما لقيتها
 ونحينا إذا فرقناها فيغودُ
 يقولون : جاهدْ يا جميلُ بغزوة
 وأي جهادٍ غيرهن أريدُ ؟
 لكل حديثٍ بينهن بشاشة
 وكل قتيلٍ بينهن شهيدُ
 ومن كان في حبي بثينة يمتري
 فبرقاء ذي ضالٍ على شهيدُ
 ألم تعلمي يا أمّ ذي الودع أنني
 أضاحكُ ذكراكم وأنتِ صلودُ

وراسة القصيدة :

أه التعريف بالشاعر :

هو أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر العدري القصاعي . وهو شاعر
 نصح مقدّم . حامع للشعر والرواية ، كان راوية هدية من حشرم . وكان هدية
 ساعراً راوية للحليفة وكان الحليفة شاعراً راوية لرهير واننه كعب وكان كثيرس

عند الرحمن (كثير عزة) راوية لحميل ، ومعنى ذلك أنه موصول الأواصر بمدرسة شعرية كان لها تاريخ كبير في الحرص على شرف المعنى وقوة الأسلوب وحرالته .

ويعد جميل من عشاق العرب ، فقد امتنن بحب بثينة ، وهام على وجهه حتى استنقر في مصر تاركاً بي عذرة في وادي القرى ، وقرب المدينة المنورة ، وطل مقيماً في رحاب عبد العزيز بن مروان واليهما فأكرمه وطل يمدحه حتى توفي عنده عام ٨٢ هـ / ٧٠١ م ، وتناقل الناس أخباره وأشعاره العذرية الرقيقة في الشعر العذري الذي انتكره مع شعراء اشتبهوا بذلك في العصر الأموي ، منهم : قيس بن الملوح ، وقيس بن ذريح ، وكثيرة عزة ، وتوبة الخفاجي . ويعد النقاد في البادية نظير عمر بن أبي ربيعة في الحاضرة وكلاهما حجازي خضعاً لعوامل متقاربة .

أما صاحبة حميل فهي بثينة بنت حسان ثعلبية بن ربيعة ... حيث نلتقي مع حميل في النسب ، وكانت تكنى أم عبد الملك لكن ماذا عن قصة هذين العاشقين ومآسئهما ؟

تشهد أخبار جميل وبثينة أن هذه المأساة بدأت عادت عابر . تفجرت منه كل الرواقت العاطفية حتى نهاية المدى ، فقد كان جميل في أول عهده بالعشق ينوي (أم الجسير) أخت بثينة الكبرى ، ودات يوم أقبل جميل بإبله حتى أوردتها وادياً نرعى كما تشاء . وكان يقطن في طرف هذا الوادي قوم بثينة ، وتصادف في هذا اليوم أن خرحت الفتاة بصحة حارة لها .. تردان الماء . فمرنا على معض من إبل جميل فنفرته ، وشق ذلك على الفتى فقام من ضجته إلى بثينة تلك الفتاة الصغيرة التي حالها حمقاء فعنفها على سلوكها وسبها فرددت عليه سبه سب أحر وغالت فيه .

وأدرك حميل كم هي رفيقة تلك العناءة . وكم هو ملجح سنانيا . فتسعر بسيم
الحب بعدد إلى عمق فله . فأحب سنانيا . وعلق بها
أية عاطفة طاعبة تلك التي تقيمتها الإساءة والحرمان والسباب . وكان فله
كان يفتح في شوق حار لعاطفة نلوه

وينصرف حميل عن أم الجسير إلى أختها الجنبلة نثينة وفي ذلك يقول

وأول ما قادم المودة بيننا

برادي بغيض يا بثين سباب

وقلنا لها قولا فجاعت بمثله

لكل كلام يا بثين جوا

وبهذا تبدأ سطور قصة العشق بين حميل ونثينة . وتتابع فصول القصة
يوما بعد يوم حتى يدسى المُرْحون سبب حميل . ويذكروا فقط اسمه مقرياً
محبوبته نثينة .

ويورد الأبحار أنه قد وقع لنثينة هوى جديد مع رجل اسمه ححة الهلالي
فلم يزد ذلك إلا فتوناً إلى فتون . ووقعت الجفوة بينهما . وهي جعوة لم تشفع من
حواه ! لأنه كان قد صار إلى حالة لا ينفع فيها دواء .

ولم يفلح أهله في إقناعه بوجوب الكف عن هوى امرأة ليس له من أطايبها
غير النعيم بأوهام الخيال .

وقد اعترف حميل بأن من الحمق أن يدوب الرجل وحداً بامرأة تكبر
أطابها في زمام رجل سواء . ثم اعتذر بأنه لا يملك الصبر عن الهيام تلك الميابة .
لأنها ملكت عليه أقطار نهاه وقد أصله هواه فلم يعد يعرف مداهب التحمل ولا
مسالك العقل .

وتشهد أحجار حميل وتنبئة بأنهما كانا عاشقين يريان للعشق عادة أشرف
من المتاع المدول في دنيا الأشواء . زمن أحل هذا سحر حميل من العبارات التي
وجهت إلى من يعشق امرأة لباعل . وهي عبارات غلطة تؤدي الرجل البدوي
إلى الندم الأبدى .

ولم يقف بلبنة الحب عند البام بامرأة متروحة لأنال منها المطالب
الحسية إلا عن طريق الإتم - وهو مسلك بمقتنه حميل كل المقت - فقد صدر أمر
السلطان بإهدار دم حميل إن فكر في زيارة بنتنة . فرحل إلى اليمن مرة . وإلى
الشام مرة . وطالبت به الحيرة في تلمس أسباب الخلاص من هواه . فلم يجد أفضل
من الرحيل إلى مصر . ولم تطل أيامه بمصر . فقد أخذ النور يحنو واحس أن الستار
الأخير سوف يسدل عليه . فدعا صديقاه وأوصاه أنه إذا مات عليه أن يأخذ
حلته في حقبتنه ويذهب إلى قوم بني الأحب من عذرة - وهم قوم بتينة وأن يصبح
بهد الأبيات

بكر النعي - وما كنى - بجميل

وثوى بمصر ثواء غير قفول

بكر النعي بعارس ذي همم

بطل إذا حمل اللواء مدبل

ولقد أجر الذيل في وادي القرى

نشوان بين مزارع ونخيل

قومى بثينة فاندبى بعويل

وابكى خليلك دون كل خليل

فعل الرجل ما أوصاه به حميل ، فما كاد ينقضي من إلقاء هذه الأبيات حتى برزت إليه بثينة يتبعها نسوة قد سزهن طولاً وسررت أمامهن كأنها بدر قد سررت في حنة فقالت يا هذا لئن كنت صادقاً لقد قتلتي . ولئن كنت كادياً لقد فصحتني فقال الرجل والله ما أنا إلا صادق وأخرج حلة حميل فلما رأها نثية صاحت بأعلى صوئتها وصكت وجهها واحتج ساء الحي ينكس معنا ويديبه حتى صعقت ووقعت معتباً عليها . فلم يريوم كان أكثر بكاء منه

وكدما يعلق الصفحة الأخيرة في هذه المأساة . على صورة عاشقين كتب عليهما قدرهما أن يعيشا على وحد ومرارة وشوق حارف ، يموت العاشق بعيداً عن وطنه ونحى المشوقة في كمد وحزن ووحشة تحتر دكرياتها القدمة حتى طوقتها رمال عذرة بعد موت حبيبها بقليل ليلتقيها في حنة العاشق الذي لا تعرف العراق مهما بعدت بينهما المسافة

ويقتضينا المقام أن نقول إنه إذا كانت مأساة قيس ولبنى - على شهرتها الواسعة - أشد هذه الماسي اختلاطاً واضطراباً في أخبارها الكثيرة وما دخلها من وضع الرواة وتزيد القصاص وأوهام السمار ، فإن قصة حميل وبثينة لم يلبها هذا الاختلاط ولا تختلف مصادرها كثيراً . ومن ثم فهي أقرب هذه الماسي للواقع ؛ حيث نحت من عنق الرواة والقصاص والسمار . أقرب أقر

غرض القصيدة :

قصة حميل في الشعر والحد العديري نعد من النوادر في تاريخ الأدب العربي ، فهو من حيث الشعر رجل قوي الأسر محكم الأسلوب ، وقد استعد للشعر كل الاستعداد

أما من حيث الحب فقد تأهب له حميل بنواهب تجعل قصته فيه على حاسب عظيم من الحادية . فقد كان حميل فتى شريف النفس . شجاع القلب يحافه العدو ويرحوه الصديق

ولم يكن العشق والحب العدري عنده فنا من اللهو أو العبث ، وإنما كان محنة أصاب بها قلبه الحرى ، وعند طلال بلاؤه بمحنة العشق ولم ينقده غير الموت وهو مغترب وحيد .

ولما كان جميل بعداً طريد الحب . فقد عاش على الذكرى والأمل في لقاء المحبوبة ونحدد أياها الصفاء والحب . وهذه القصيدة إحدى النغمات التي أخرجها حميل من حنايا نفسه ومن بين ضلوعه . وسويداء قلبه ليعبر بها عن حبه وإحلاصه واشتياقه لمحبوته بيينة . وقد قال هذه القصيدة وهي مرتحل إلى مصر

٢ = تطيل القصيدة

إذا ما أعمما في القصيدة كلها نجد أنها تتضمن على عناصر وأفكار عدة . أسرت قصد الشاعر وكتف اللثام عن تحريته التي اضطرت بين حوائجه وعاني منها ما عاني ، فراح يصدق بهذه القصيدة وتلك الأجراء العيبة التي تعبر عن شعوره وإحساسه وصدق عاقلته . وأول هذه العناصر

بـ (المرث عن الماضي السعير :

العكرة في الأبيات التالية :

١. الا ليت أيام الصفاء حديد
ودهر انولى بانئين يعود
٢. فنعنى كما كنا نكون وانتم
صديق وإذا ما تذلين زهيد
٣. وما أنس ملاءشياء لا أنس قولها
وقد قربت نضوى أمصر تريد ؟
٤. ولا قولها: لوى العيون التي ترى
أنتيك ؛ فاعدرني ، فنتك جدود
٥. خليلي ما أخفي من الوجد ظاهر
ودمعي بما أخفي الغداة شهيد
٦. ألا قد أرى والله إن رب عبرة
إذا الدار شطت بيننا ستزيد

التفسير اللغوي :

١. حديد : تحدد الماضي ورجوعه .
تولى : ذهب وانعد وصار : في حكم الماضي .
٢. بئين : بئنة وحذف الحرف الأخير من الاسم يسمى ترحيبا .
٣. نغني : نسعد بالإقامة .
نكون : نوجد .
٤. ما تذلين : ما تبليين من الوصل والوداد .
زهيد : قليل
٥. ملاءشياء : من الأشياء .

٦. **النضو**: الضعيف المهزول من الحيوان يريد ناقته .
 يقول مهنا أس من شى - فلا أس قبليها وقد فزبت من ناقتي أتريد مصر
٧. **الجدود** : جمع حد
٨. **بالفتح** : وهم أبا الأت تدعوله بالسلامة ويعتد به بالأهل
٩. **الوجد** : الحب الشديد **العادة** : ما دس الفجر وطلوع الشمس
شديد : ظاهر
١٠. **العيرة** : الدمعة أو الحزن من غير نكاء
- شطيت** : بعدت . أي سبكر نكائي إذا افترقنا
- ستزيد** : حبر عيرة والجملة حبر أن المحففة .

شرح وتعليق :

يبدأ الشاعر قصيدته بالحديث والتغني بأيام الصفاء الخالية والدكرات الحلوة الحميلة التي قضاها في رحاب محبته أو بالقرب منها فليبتها ترجع كما كانت لتعرف عليهما السعادة . وتبدأ النفس ونقر العبر ولو بالقليل من الوصل والوداد . مما زالت كلماتها عالقة بدهسه ساعة الوداع وهو مرتحل إلى مصر لا يستطيع نسيانها وقلبه . ذلك لأن بثينة كانت تودعه بحرارة وشوق وهي صوت هامس تقول له أتصرف عن لتتعي مصر ؟ تقولها وهي تحشى التلاقي ويصدها عنه عيون الحساد ونظرات العدل . ولا تملك لا الاعتذار عن اللقاء . والدعاء له والتحفة من أحله بالأهل والأحباب

ويسير الشاعر بعد أن ودع محبته . متفجع القلب يعصف به الشوق . وسرقه الحب ويتألى بنار العراق . ويدوب من كثرة النكاء والحرر على عراق

محبوبته ، وتبادلته محبوبته الشعور نفسه إذا ما بعدت بينهما الشفقة والعراق .
فسيرداد في قلبها الحب ويشدد مع أنها تنأى عليه ، وتخب آماله ، فلا هي تتركه
من البصال . ولا هو يستطيع نسيانها

تلك ساعة من ساعات الماضي السعيد . يذكرها ليحرف عن قلبه المنيم
المكثوم وطلاة العراق ونار البعد . واستعادة الذكريات أمر واقع لكل إنسان . لكنه
في حاسب المحبين أكثر وأشم . فالحب يعيش على الذكرى إذا ما حال البين بينه
وبين من يحب . كما الحال عند جميل .

وصف ما في نفسه من حب وشوق :

استطاع الشاعر أن يعبر عن هذا الإحساس وذلك الشعر في الأبيات التالية -

٧. إذا قلت: ما بي يسا بثينة قاتلي

من الحب: قالت: ثابت ويزيد

٨. وإن قلت: ردي بعض عقلي أعش به

مع الناس ، قالت : ذاك منك بعيد

٩. فلا أنا مردود بما حنت طالبا

ولا حبتها فيما بييد بييد

١٠. جزتك الجوازي يا بثين ملامة

إذا ما خليل بان وهو حميد

١١. وقلت لها : بني وبينك فاعلمي

من الله ميثاق له وعهود

١٢. وقد كان حبكم طريفا وتالدا

وما الحب إلا طارف وتليد

١٣. وإن عروض الوصل بيني وبينهما

وإن سهلته بالمني لصعود

١٤. فأفئيت عيشي بانتظاري نوالها

وأبليت ذاك الدهر وهو جديد

التفسير اللغوي :

٧. أي إذا قلت لها إن الحب سيقتلني قالت : إنه باق وسيريد

وهذا معنى قوله : ثابت ويزيد .

٨. ردي بعض عقلي : صوابي ورشدي . والمراد الدصال الذي به يحيا بين الناس

٩. فلا أنا مردود : أي لم أبل ما طلبت من بعض عقلي .

يبيد : يفني وينتهي .

١٠. جزتك : عاتبك الجوازي : جمع حازية وهي المكافئة المنصعة

والمعنى : أنه إذا حوذي الأحمسة بالتناء عليهم وقت الفراق فليس لك في

نفسى إلا العتب واللوم

والبيت : في الأصل جملة دعائية .

١١. الطريف : الجديد وضده التلبد .

١٢. العروض : الطريق في عرض الجبل .

صعود : مرتفع أو الطريق الساق .

والمعنى : أن الوصل صعب المنال وإن سهلته بالوعود .

١٣. نوالها : قربها ووصلها

أبليت الدهر : دهاب العمر بغير وصل .

شرح وتعليق :

بعد أن وقف الشاعر طارفاً أبواب الذكريات والأيام الحلوة الصلابة .
ليحرف وطأة الحد عن قلبه المتجم . ويسري عن نفسه المملوءة شوقاً وحنيناً بعد
ذلك بحدثنا الشاعر (حميل) عما في نفسه من حد وشوق . ويورد لنا حواراً بينه
وبين محبوبته بسحه من حيااله السامق . ليؤنس وحدنه وغربته . ويطلقى نار
الشوق المتأجحة بين حوارحه .

وهو في هذا الحوار الملتهب . يحاول إظهار ما يدور بين جنباته من حد
قاتل يؤرقه ليلاً ونهاراً . فلا يكاد يحس بطعم الحياة ولا لذة العيش ما دام بعيداً
عن محبوبته لا ينال منها وصلاً ولا قرباً .

وترتفع نبرة الشاعر . ويصف ما أصابه من جراء هذا الحد . فنراه وقد
ذهب عقله بسبب البعد والعراق . فجاء يطلب الوصل عليه يرجع إلى رشده
وصوابه ويعش بين الناس عاقلاً رزيناً سعيداً هادئ النفس ساكن اللب .

لكن هيهات هيهات وقد بعدت الشقة بينه وبين بتينة . فلم ينل منها ما
أراد من وصل وقرب ينعم به . ولا اشغل قلبه عنها وذهب حنينا منه فيستريح .
بل ظل مشغول القلب . شارد اللب . ولا يملك إلا أن يلوم محبوبته التي آبت أن
تد إليه يد القرب والوصل . ويذكرها بأنهما قد أخذوا على نفسيهما العهد والميثاق
أمام الله على اللقاء والمودة والمحبة .

ويرجع الشاعر إلى الحقيقة المؤلمة أنه مهما أعطته محبوبته من وعود
وأمنيات بالوصل والقرب إلا أن ذلك صعب محال ؛ ذلك لأنه قد حيل بينها وبين
محبوبها . ولا تملك من أمر نفسها إلا هذا القلب النابض بالحب . لذا فقد أفضى
الشاعر دهره في انتظار وعددها المرعوم وقضى زهرة عمره في طلب نوالها لكنه عاد
بحفي حنين .

يصور الشاعر هذا العصر قائلاً :

١٥. ألا ليت شعري هل أبيت ليلة
سوادي القرى إنني إذا لسعيد
١٦. وهل أهبطر أرسا تظل رباحها
لها بالثنايا الفاويبات ونيد
١٧. وهل ألقين سعدي من الدهر مرة
ومارث من حبل الصفاء جديد
١٨. وقد تلتقي الأهواء من بعد بأسة
وقد تطلب الحاجات وهي بعيد
١٩. وهل أزجرن حرفا علاة شملة
بخرق تباريها سواهم سود
٢٠. على ظهر مرهوب كان نشوزه
إذا جاز هلاك الطريق رقود
٢١. سبتني بعيني حوذر وسط ربرب
وصدر كفا ثور اللحين وجيد
٢٢. فمن يعط في الدنيا قرينا كمثلها
فذلك في عيش الحياة رشيد

التفسير اللغوي :

- ١٥ . ليت شعري : ليتني أعلم أو أشعر
 وادي القرى : بلادها شمالي المدينة بالحجاز
- ١٦ . الغنایا : جمع نثية وهي طريق ملتوي في الجبل أو هي الجبل نفسه
 القاربات : جمع قاوية معنى الخالية
 وثيد : صوت شديد عاصف .
- ١٧ . سعدئ : يكنى بها عن بتينة .
 ما : متندأ خبره جديد .
- ١٩ . ازجر الناقة : أصبح بها لتسرع
 الحرف : الناقة الحامرة أو المهرولة أو العطية
 العلاة : الناقة الطويلة .
 والشملة : السريعة
- الحرق : القعر والأرض الواسعة تحرق فيها الرياح .
 تبارجتا : تسادقتا
- سواهم : جمع ساهمة وهي الناقة الصامرة
 ٢٠ . مرهوب : طريق محوف
 نشوز : جمع نشروهو المكان المرتفع
- هالك الطريق : الدين ضلوه
 رقود : نيام وهو حبركأر
- ٢١ . سيني : أسرني وسحتني .
 الجؤدر : ولد النقرة الوحشية
 الريرب : القطيع من بقر الوحش .
- الغاثور : الحفنة وهي الإساءة الواسعة .
 اللجين : العصاة .
- الجيد : العبق وهو بالرفع على أنه متندأ خبره (لها) محذوف
 ٢٢ . القرين : الحاحب والروح
 رشيد : موفق .

شرح وتعليق :

استطاع الشاعر (جميل) أن يصور ما في داخله من شوق ومحبة لتبصرة
وما يعاينه من الحر والصد وصباح الأمل في اللقاء ، مما جعله يحلم ويتعسى
بأساليب المتشاق المقلهف - الناب لبللة واحدة في أرض مخنونه لانس بنا
ويسعد بالقرب منها - وإن كان لا يراها تلك الأرض (وادي القرى) التي شهدت
أول تدور للحب العدري بينهما ، مما أحلاه من مكان حال إلا منهما ، تعرف
الرياح فيه أعدب ألعان الهوى العدري ، فيتم الوصل ويتجدد الحب ، ولم لا وقد
يتحقق هذا الحلم وتلتقي الأهواء بعد اليأس ، وهذا يجعله يقطع العباقي والقفار
من أجل الوصول إلى تحقيق هذا الأمل المسود ، والوصول إلى هذه الحنلة التي
سحره بحمالها أخذته يعيوبها الجداية ، وقوامها المعتدل الرائع ، وكل ما يتمناه
أن يسعده الدهر بليلة في هذا الوادي الذي يقطن فيه هذا الجمال الأحاد ، ونكتمل
سعادته ويرتوي طمأقلنه بمحرد المبيت دون أن يلتقي بها أو يراها ، فهي في
بطره مودح صالح للمرأة التي جمعت المحاسن كلها في نسدنها وخلقها وحمالها
ودينها ، ومر يغبها فقد فار بالحير كله وعاش في الحباة سعيداً مودعاً

عروة إلى وصف حبه (العزري وجهاهوه فيه) :

يقول الشاعر مصورا هذا الص :

٢٣. يموت الهوى مني ما لقيتها
ويحيا إذا فارقتها فيعود
٢٤. يقولون : جاهد يا جميل بغزوة
وأى جهاد غيرهن أريد ؟
٢٥. لكل حديث بينهن بشاشة
وكل قتيل بينهم شهيد
٢٦. ومن كان في حبي بثينة يمترى
فبرقاء ذي ضال على شهيد
٢٧. ألم تعلمي يا أم ذي الودع أنني
أضاحك نكراكم وأنت صلود

التفسير اللغوي :

٢٣. يموت الهوى مني : يصعب الحب : فارقتها : انتعد عنها
٢٤. جاهد بغزوة : أحرص للجهاد في سبيل الله كي تنسى حبا
٢٥. بشاشة : بهجة وسرور .
- شهيد : الميت لغاية نبيلة كالمجاهد في سبيل الله تعالى .
٢٦. يمترى : يشك .

البرقاء : أرض غليظة ذات حجارة ورمل وطين أو كل شيء فيه سواد
وباص وبرقاء دي صال إحدى بروق بلاد العرب يتحد مر
مواقفه فيها شاهدا على حبه الشديد .

٢٧. ذو الودع : طفلا يعلق عليه الودع وقاية . وهو محار صغير أبيض

صلود : تحبة

معروف .

شرح وعليق .

علمه الشاعر أنه لا أمل في لقاء محبوبته والانتساب بها . فراح يصعد حاله وما ألم به من وحدٍ وصنابة . واستعمل الحب من حوائجه . ولا يطفى هذه النار المتأحمة اللقاء محبوبته . ثم تعود لتشتعل مرة ثانية بعد فراقها . فهو لا يستطيع سيار (نبتة) حتى لا حرج للجهاد كما نصحه إخوانه وأهله . حتى ينسى هذا الحب الجارف ويرى أن الجهاد الأكبر في محاسبة هذا الحب والصبر عليه . أو سيد شهيداً في سبيله .

تم ينقل الشاعر إلى بيان صدقه وإحلاصه في حبه (لنبينة) فيحاطب من يتك في هذا الحب وذلك الإخلاص بأن يندب إلى وادي البرقاء ويسأله عن مرافقه مع نبتة في هذا الوادي . كي يكون دليلاً على حبه وإحلاصه وتغايبه في حب نبتة في نعددها وقربها ؛ فهي قريباً بهذا القلب ونصفه الروح وفي بعدها وحرها يعتر الشاعر يحاطب الذكرى الجميلة ويصاحكها . حتى لو بطلت عليه باللقاء . فهو يعيش على الذكرى الجميلة . والأيام الحلوة الخالية

تحليل ونقد :

تناولنا في الصفحات السابقة شرح بعض من شعر حميل في الحب العذري . ورأينا كيف تلاءمت المشاعر والخواطر مع موضوع واحد . وتراسلت المعاني وتناعبت الأفكار من أول بيت إلى آخر القصيدة . لتتلاقى في محرى واحد يصب في موضوع واحد هو الحب العذري

وإذا ألقينا نظرة على هذا الحب . وحقيقته يرى أن الحب له صورتان .

الأولى : حب حسي يعنى فيه الرجل بالمرأة من حبب هي أننى نحقق له المتعة واللهو وإرضاء الحواس . وقتبة تدفعة إلى طلب = من الأحرى عذيمه لأنه يرى فيه الوسيلة لتحقيق متعته ولهوه وإرضاء حواسه . وننى ذلك فالمرأة في هذه الصورة ليست غاية للحب ولكنها وسيلة إليه . ولذلك فالمحب بهذا اللون لا يقف حبه عند واحدة يعيها ينبت لها قلبه وحبه ومشاعره وإخلاصه ووفاءه . ولكنه ينتقل من واحدة إلى أخرى كما ينتقل النحلة من زهرة إلى زهرة طلباً للرحيق والعطر الفواح . لذا لا نراه يقنع بالشرب من كأس واحدة ، وهو لا يطلب الكأس إلا أن تروي ظمأه . وببل صده . وتغلفى نار لوعته . فالمرأة نفسها لا تعنيه إلا بقدر ما ينال منها من متعة .

والثانية : حب روعي طاهر عفيف يحذر عن مشاعر راقية متدفقة وعاطفة نبيلة صادقة وصناعة عذبة مبرحة . ويقوم على الإخلاص الشديد ويميل إلى المتالفة غير المقبولة أحياناً في التفاني والضراعة . ليعبر عن فطرة سليمة وزرعة إنسانية مهتدة

كما أنه حب يتعلق فيه العاشق بمحبوبة واحدة . يري فيها مثله الأعلى الذي يحقق له المتعة الروحية . ورضا النفس . واستقرار العاطفة . وهو استقرار يجعل فنته بواحدة تقف عندها أماله . وتحقق فيها كل أمانيه . فالمرأة عنده هي هدفه الذي يطلنه . والغاية التي يسعى إليها ، والأمل الذي يرتجيه . والمعنود الذي يقضي عمره في محراب حبه . ويوقد له الشموع . ويحرق الخور . مثله منزل العراشة التي تنهافت على النور ولا نزال تحوُّم حوله حتى تحترق ناره . فالمحبوبة عنده هي الكأس التي يقضي حياته طامناً إليها لا يعدوها إلى غيرها . ولا يتحاورها

إلى سواها، لأنه لا يظن الريّ في أي كأس، ولكنه يطلعه في كأس يعينها شي تلك التي تعينه وترصه^(١).

والحقيقة التي لا حدال فيها ان العرب قديماً عرفوا شاعر الصيرين من الحب، (العديري والحسي الفاحش) فكل من يقرأ العزل الجاهلي وينتج الحياة الاجتماعية في هذا العصر يستطبع أن يتدبر الانحاضن الاساسيين من احاطات الحد

فإلى جانب امرئ القيس والأعشى واضرابهما ممن يمثلون الاتجاه الحسي في الحب، عرف المجتمع الجاهلي في باديته ومدنه طائفة من الشعراء يمثلون الاتجاه العديري العفيف، وأطلق عليهم لقب (المتيمين) تمييزاً لهم عن سائر الشعراء وربطوا بين كل ميتم وصاحته كما كان الحال عند العديين في العصر الأموي فالمرقتس الأكبر وأسماء والمرقتس الأصغر وفاطمة وعند الله بن العجلان وهند وقيس بن الحدادية، ونعم وعند الله بن علقمة وحبيشة ومالك بن الحمصامة وحنوب، وعمرو بن كعب وعقيلة، وعنترة وعلة.

وهذا يعطينا إشارة إلى أن الحب العديري لم يأتي من فراغ، أو لم يكن نقاحاً أمورياً حالصاً وإنما كانت له حدوده الممتدة في العصر الجاهلي، لكنه لم يتحدد معالمه، ولم نكتمل صورته وعناصره العفية والخلقية، ولم يظهر في قصائد مستقلة تحققت فيها الوحدة الموضوعية، إلا في العصر الأموي، بعد أن استنقام الأمر لسي أمية واستقرت لهم دولتهم الجديدة ومع هذا الاستقرار تميزت صورة الحب العفيف لسيمات معينة واتحدت لها طائعا حاصا اكتسبت اسم حديدا عرف باسم " الحب العديري " نسبة إلى قبيلة بني عدرة، وفي ارجاء النادية العربية

١- نطر الحب المتالي عند العرب د / يوسف حليف

طير عشاق عدوا النعاج الصالحة لهذا الحب واملت العلياءه بكل سمائه المنيرة، وطوانعه الخاصة . فاطلق عليهم اسم العدريين نسبة إلى هذا اللون من الحب

كما أن الإسلام كان سننا في أن يصنع هذا اللون من الحب اللين الأول في لوحة الحناء النهوية الإسلامية . فالإسلام شذوذي الذي حال بين غرب الناديه بين ألوان الحب الأخرى الحسنة . فلم يجدوا لعدوا خلفهم متنفسا إلا في هذا الحب العفيف الذي لا يجرمه الإسلام ولا ينكره

والقصيدة التي بين أيدينا لشاعر من أكر الشعراء العدريين الذين أدعوا في هذا المصمار ، وعبروا نعتيرا صادقا للقطرة الإنسانية الصافية . استجابة فعلية لتألمات ، دمهية ، ودياريا ، وحناء وإسلاميا وطلقا بين الصراعات الساسة والمالعة والإسراف المادي والترفيهي واللاهني العابت . فكان الحب العفيف وأصحابه الوجه الأحر للصراع السياسي الدائرين شعراء الأحرار السياسية من شيعة وحوارج وريزيين والحرر الأموي الحاكم، فترفع بعض الشعراء عن الحوض في هذه التيارات السياسية لبتعنوا بالحب الطاهر العفيف ، محررا عن الأهواء والسهوات والملاذبات والإسراف المادي ؛ للتعبير عن الحلق السامي ، والروحانية الصافية المهدبة (١) .

١- نصر ذات الإسلامي بين النظرية والنصوص ج ٢ / ٥٥٠ / ٥٥١ / على صبح

القيم الموضوعية والشكلية :

أولاً : من حيث الموضوع

أشربا فيما سبق إلى ن مصزع القصيدة هو الحب العذري الذي ساع في العصر الأموي واشتهره كثير من الشعراء أمثال جميل ، الذي استطاع ان يحاطب قلوب المحبين بأشعار مملوغة بأريج من الحب الصادق النزيل . ولهبب من العواطف الحياشة والأحاسيس المتأححة التي بدوت لها حتاشاب القلوب . كما حاء مملوغة بحملة من القيم العذرية التي تتسم بالعفة والطهارة وتتعالى فيها صنحات الروح وحسن الخصال على نداء العريزه ومطالب الجسد . وما ذلك كله إلا من ينابيع العروسية النبيلة التي كانت تتحلى بها القباثل العربية قديماً وبخاصة قبيلة (عذرة) التي سب إليها هذا الحب .

والقصيدة التي بين أيدينا نعد مرآة صافية لحياة الشاعر ، ودليلاً هنيئاً على صدق فنه ورقته لما تحسنت فيها من ملامح الحب العفيف الطاهر وتوارت فيها القيم الإسلامية الراقية ، ودحرت بها من قيم عصره ورمائه ، فكانت بذلك نموذجاً راقياً تتحلى فيه عذرية الشاعر ومقدماته فما عطاها ذلك كله ٩

١- الملامح العذرية :

استطلعنا فيما سبق أن نصح أيدينا على مفهوم الحب العذري . ولكي يكون الحب أو العزل بهذه الصفة لا بد لها من ملامح تظهر في عمل الشاعر وتحريته التي يعانيتها ويصرعها سعراً ، ونحسد القيم النبيلة في العزل مثل العفة ووحدة المحبوبة، والحرمان من وصلها ، والإحلاص لها والوفاء بعهدتها ، والأمل في وصلها ولقائها ، وكلها سمات عذرية اكتسبت علاقة المحبة المتبادلة بين جميل ونسبة .

وبخاصة إذا عرفنا أنه شاعر عربي أصيل تربي على أحلاق الفروسية العربية
الأصيلة وتحلى بأحلاق الفوارس النبلاء من الشجاعة والكرم والمروءة والاعتداد
بالنفس والدود عن الرأة وحمياتها . وكلها صفات حلقية اكتسبها شاعربا
(حليل) من مبادئ الأصيلة من السنة العربية

ومن ثم وجدت عاطفة المحبة والعزل العذري مباحاً طيباً وبرية حقة
لنموه وازدهاره وتعدد ملامحه وصوره في القصيدة
فمن أقواله التي نتحسد فيها الملامح العذرية وتزهى على حبه الذي يكتبه
بين حواحه

خليلي ما أحفي من الوجد طاهر

ودمعي بما أحفي الغداة شهيد

وقسمه على صدق حبه في القرب منها أو البعد عنها وإردياد عذنه وحربه
إذا فارقها

ألا قد أرى والله أن رب عبيرة

إذا الدار شطت بيننا ستزيد

وقوله يزهى به على ناله وشدة وحده وصانته . وتأجج الحب بين حواحه

إذا قلت : ما بي يا بثينة قاتلي

من الحب قالت : ثابت ويزيد

ومن الملامح العذرية أيضاً قوله يزهى به على شدة حرمانه ولوعته لعراقها
وصعوبة وصلها

وإن عروض الوصل بيني وبينها

وإن سهاته المنى لصعود

وقيله يبرهن به على أمله الدائم في لقائنا ومعاودة وصلها من حديد والنعم
بالصفاء والهناء كما كان في سالت عهده ، ويبرهن به كذلك على إحصائه في حبه
له وعدم التعديل عنه إلى غيرنا

أذا لبيت أيام الصفاء حديد

ودهرأ تولى يا بشير يعود

فأفريت عدسي بانتظري نوالها

وأبليت ذاك الدهر وهو جديد

وهل ألقيت سعدي سن الدهر مرة

ومارث من حبل الصفاء حديد

وقد تلتقي الأهواء من بعد بأسه

وقد تطلب الحاحات وهي بعيد

ومن الملامح العدرية في القصيدة قوله يبرهن به على صدق حبه ومحاهدة

نفسه فيه ورده على المشككين في هذا الحد وذاك الخبير

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها

ويحبنا إذا فارقتهما فيعود

يقولون جاهد يا حميل نعروة

وأني جهاد غيرهن أريد

ومن كان في حبي بثينة يمتري

ففرقاء ذي صال على شهيد

ومن أقداله الشاهدة على عديته والاعتداد بحديثه وضحدها وأثبات

أنها خير قريب

فمن يعط في الدنيا قرينا كمثلها

فذلك في عيش الحياة رشيد

وهكذا توافرت في القصيدة ملامح عذرية الشاعر وعفته وطهارته التي تشهد على إخلاصه في حبه ونفائيه ونهالكة في صنائه ، وهذا لا يتنافى مع شهامة العربي برحيلته وفروسيته ، فكما كان يعتد برحولته وقوته ونجاحته في ميدان الحرب والقتال ، كان يعتد كذلك بحصوه واستسلامه لسلطان المحبة والهي والعرام . وقد استحس النقاد هذا الأمر وبخاصة في ميدان العزل العدي و من ذلك قول ابن قدامة مشيراً إلى ذلك " يجب أن يكون النسب الذي يتم به العرص هو ما كثر فيه الأدلة على التهاك في الصيانة، وتطاهرت فيه الشواهد على إفراط الوحد واللوعة ، وما كان فيه من التصابي والريقة أكثر مما يكون من الحشن والجلادة ، ومن الخشوع والدلة أكثر مما يكون فيه من الإباء والعرة ، وأن يكون حماع الأمر فيه من الإباء والعرة ، وأن يكون حماع الأمر فيه ما صاد التحافظ والعزيمة، ووافق الانحلال والرحاوة، فإذا كان النسب كذلك فهو المصاب به العرص " (١) .

كما ينبغي الإشارة إلى أمر هام وهو وجود بعض الأوصاف الحسنة لثنية في القصيدة وهذا لا يتنافى مع عفة الشاعر وطهارته وعديته في حبه، لكنها صيغة تتفق مع إجلالها وقديسيتها ومنزلتها في قلبه ، كما أنها دليل على تعلقه بها فهو قد تعلق بحمال ، ووحها وحواسها

١- مد الشعر لندامة بن جعفر ص ١٣٤

ومن ذلك قوله

سنتي بعبي حيدر وسط ربرب

وصدر كفاثور اللحين وحيد

فنده أوصاف حسنة . ولكن الشاعر لا يقصدها لدانها ، وإنما لما تركته في نفسه من أثر طيب جعله سعلق بها حسنا وروحاً . وير أن يعرضها في صورة من الفحش والاندال . ومن ثم يعني لما وصف رابع لحمال محدثته - كما يراها في عينيه - في صورة تجمع بين حمال الروح والحسد وهذا ليس معناه أن يتمادي الشاعر العديري في وصف محبته وصفا حسنا مندلاً . والا لا يتسم بالعديرية والعفاف .

٢- القيم الحلقية والدينية :

كان للإسلام وبعاليمه السمعة الراقنة الأثر الكثير في تاصيل الحد العفيف وانتشاره . ذلك لأن الإسلام دعا إلى ترسج القيم السامية ، والتخلي بالأحلاق الفاضلة . ولما كان الحد العديري أساسه التعاطف الروحي والوحداني ، فقد أقره الإسلام ، وأرداد الشعراء تمسكا بتعاليم الإسلام . ووجهوا عواطفهم وأحاسيسهم نحو مظلة الإسلام وبعاليمه السمعة . كما جاء أشعارهم في هذا الاتجاه مشتملة على كثير من القيم الحلقية والدينية . حتى صار هذا مبعها في السبب والعرل . سار عليه شعراء الحد والنسيب في الشعر العربي والإسلامي في كل العصور الأدبية . حتى يرى بعض النقاد أن الحد الإلهي انطلق من هذا العر .

واصنح صديره وأتلامه ومعالمه، يذيرا ومصطلحات وصورا في الأدب الصديقي يعد ذلك عند سلطان العاسقين ان العارض وغيره (١).

. وقد اشتملت العصيدة على كثير من الفهم الحلقنة والديبنة منها

التعاطف الروحي المحرد من الشهوات والملمات . ذلك لأنه لا ينبغي من ورائه المتعة الحسية والجسدية الغائبة بعناء وقتيا ، بل يرمي المحب إلى الصفاء الروحي والتعاطف الوجداني ، الذي يملأ النفس اطمئنانا ، ويتسع حيا ملينا بالطهر والعفاف وقد تجسد هذا المبدأ السامي وتلك القيمة الروحية العالية . في قول الشاعر جميل .

ألا ليت أيام الصفاء جديد

ودهراً تولى يا بثين يعود

فهو هنا لا يطلب إلا ذلك الصفاء الروحي المحرد من الشهوات والملمات الغائبة . وهذا مبدأ سام يرفع من علاقة الرجل بالمرأة ، كي لا تكون قائمة على النفع المادي القاي

التعلق بالدكرات الجميلة ، وأحاديث النحيى الطاهرة ، ذلك أنها خلق

اسلامي يدل على الوفاء وعدم الجحود والعرفان بالجميل ومن ذلك قوله

وما أنس ملاءشياء لا أنس قولها

وقد قربت نضوي أمصر تريد ؟

ولا قولها : لولا العيون التي تري

أنتيك فاعذرنى فدتك جدود

١- مصر لانت الإسلامى ج ٢ / ٥٥ / علي صبح

كما نلاحظ في البيت الثاني خلقاً سامياً هو خلق الحياء الذي هو شعبة من شعب الإيمان بالله عز وجل . واحة والإيمان مقترنان إذا ارتفع أحدهما ارتفع الآخر . ومن لم يستج من الناس لا يسحي من الله عز وجل

الدموع والعبرات دليل على قوة القلب . وهي رحمة بنفس بها الإنسان عن نفسه ويذهب بها بعضاً من نار الوجد . ويتصبر بها على بلائه . ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة والقوة الطيبة . حيث بكى النبي ﷺ ولده إبراهيم ، فتعجب بعض الصحابة من كانه فرد عليهم **قائلاً** " إن العين لتدمع . وإن القلب ليحزن . وإنا لعراقك يا إبراهيم لمحزون وإنها رحمة ولا نقول إلا ما يرضي ربنا " .

وقد تحسد هذا الخلق الرفيع وتلك القيمة الروحية في قول (جميل) معبراً عن تأله لعراق محبوبته وإنهمار الدموع من عينيه

خليلي ما أخفي من الوجد ظاهر

ونمعي بما أخفي الغداة شهيد

ألا قد أرى والله أن رباً عبرة

إذا الدار شطت بيننا ستريد

من القيم الخلقية النبيلة التي اشملت علينا القصيدة . المشاركة الوجدانية في المتاعر والأحاسيس الإنسانية القياصة بالحب . وهذه قيمة إسلامية فإذا صادك إسان مشاعر الحب والود لرم أن تنادله هذا الشعور ويصرح له بذلك . وبخاصة إذا كان حنا منيراً من العرص الرائل . والمجرد عن الشهوة القابية . وهي الحديث النبوي الشريف

" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأحبه ما يحب لنفسه ورحلان نتانا في الله

اجتمعنا عليه وتفرقا عليه "

ويقول عمر وحل :

﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ
اللَّهُ بِمَا أَنْ يُوَصَّلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ (١)

ويقول الرسول ﷺ :

" آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان "

ومن هذا المنطلق ومن تلك الفياض الثابتة انطلق جميل وراح يذكر نبذة
بدلك العهد المبرم بينه وبينها والله شهيد عليه ، ليكون أدعى للهفاء به وعدم
بقضه يقول جميل

وقلت لها : بيني وبينك فاعلمي

من الله ميثاق له وعهود

وقد كان حبكم طريفا وتلدا

وما الحب إلا طارف وتالذ

وهكذا استملت القصيدة على مجموعة من القيم الخلقية والدينية ، التي نتم
عن ثقافة الشاعر الدينية التي تربي عليها ، فهدبت من سلكه ورققت حواسبه
وحداحه ، وكاتب تمثّل سياحاً يحميه من الانفلات نحو العزل المكتشف المتدل

ثانياً : من حيث الشكل :

الشعر له رسالته العنيفة الحطيرة في تجارب الحياة والمجتمع ، بل فاعليته
المؤثرة في البناء والهدم ، والسمو والانحطاط ، وذلك من خلال الأثر الفني والشعوري
الذي يكون مادة أساسية في التأثير على المتلقي ، والتعامل المباشر مع مستاعره
وأحاسيسه ، وبالتالي تلويحها ، وتشكيل مزاها سلنا أو إيحائياً ، ولم يكن

١- سور الرعد الآية ٢٠

للشعر - عامة - من فضل في هذا التأثير الاغراض عناصر وندة يتشكل منها الاساليب. نعدو مقوما أصيلا في تشكيل القالب الفني للاغراض التعبير، ومقوما نديا أصيلا - كذلك - في تحقيق القوة التأثيرية للتحررة فيما تحل من مصابيح وعيما نعالج من موضوعات

وتتعدد هذه العناصر الفنية التي يتشكل فيها القالب الأسلوبي من لغة وعاطفة وخيال وموسيقى، تغدو كلها لندات أساسية في تحسيد الأفكار، والألوان الشعورية، وما تكنه النفس من مكونات ودفائن

وحيثند تكون شاهدة عيان على شاعرية الشاعر؛ إذا تحتاج هذه المواد - في تحقيق أثرها الفني في التسبق بينها، واستغلال إحصاءاتها للتمكين من استواء

قالب أسلوبي في، يتصن السمات الفنية الحية والرصانة والقوة والمتانة

ولم يكن ثمة شيء قد مكن الشعراء من توظيف أحاسيسهم ومشاعرهم في نقل الحوانب الإنسانية وغيرها سوى مهارتهم في التعدير الفني المحكم بهذه العناصر الفنية للأسلوب

والقصيدة التي نير أيدينا اشتملت على كثير من القيم الفنية، وحن تصد

عندنا

١- الصورة والأظلية :

والصورة من الأمور التي يرتكز عليها الشعر، فهي المعرض الذي يعرض فيه الشاعر أفكاره وحواطره، كما أنها تتلون بعاطفته وابعالانه، وتتكبر من الكلمات والعبارات في سبق يحطط له الأديب في احتيار بقطة النداية ولحطة

النهاية ، وفي اختبار اللغة المناسبة والوزن القادر على الإيحاء بالعاطفة المروعة التي يدل تكرار الصوت فيها أو نذيعه على حالة نفسية مقصودة^(١) .

إدراك الصورة عمارة عن آخر حجاج إلى مصور سارع لتجميع شئونها ، ويسبق أذنانها حتى تكسر سمرة يمزجها عن حواطره وأفكاره ونخريته ، ولا يباي هذا إلا من خلال سائل المصنع ، ليسير فيه عن طريق الكلمات والعبارات ، التي هي من أهم مكيدات الصورة لما يضيفه من دور بارز في الإيحاء عن بعثة الشاعر ، لكنه المستول عن نسيقها وتطعمها ، وصيغ إيقاعاتها مع الحواسم الشعورية الذي يريد أن يرسمه ، وألا يقف بها عند الدلالة المعنوية الدهنية

وليداً لا ينوعي للشاعر أن يقف على الميل القاموسي للفظلة وحسب بل يحررها منه إلى معنى أرحب وأوسع وأحمل ، ووضعها في مكانه المناسب من العبارة لتكون اللفظة رهينة الأصوات الموسيقية التي تتألف في تركيبها ولتعطي صورة واضحة متناسقة الألوان والطلال ولكي تكون الصورة باهرة رانعة ، ينبغي أن يصاحبها شيء من الخيال ليجمع بين أحرائها وينظمها ، ويوفق بين ما يكون فيها من متناقضات عن طريق رؤية الوحدة الناطقة المختفية وراء هذه المتناقضات ، فإذا المتفرق في الطبيعة يصنع متكاملًا موحداً لتكون ذات تأثير اد إر قوبها تتمثل في الإيحاء بالأفكار عن طريق الصور المدعمة بشيء من الخيال بعيداً عن الأفكار الحردة أو المبالغ

وعلى هذا الأساس فالصورة عبارة عن قالب له أحرار ، يصب فيه الشاعر أفكاره وحواطره ويلونها بألوانها المناسبة ، وينظم أبعادها ، وسيلته في ذلك الألفاظ والعبارات وشيء من الخيال ، أو هي أداة الشاعر الفنية يعبر عن تجربته .

١- نظر مقدمة في النقد الأدبي ، محمد حسن عبد الله ص ٢٤٠

ويرسم متناهد من حياته وواقعه ، قوامه الكلمات وما يحدثه بينها من علاقات يتكرر بها دلالات جديدة غير مباشرة يبنى بها عالماً متغيراً خديداً يجمع فيها من عناصر متناعدة . في إطار من الأسحار والوحدة ويصور المعنى بصيرا ، مبالا ، ويحاطب المشاعر . ويدع للحيال حرية التخيل حول الصورة المشكلة

والصورة الرانعة هي التي يصل الشاعر من خلالها إلى قلوب الأحرس ، ويؤثر فيهم ، والتحرية الشعورية للحب العذري من أقوى التحارب الأدبية ، وأبلغها عاية في الصدق العيني الذي يقوم على التلائم بين المعادة في مشاعر الحب الهادر ، بوحائه القومي . وبين عناصرها من العاطفة والمشاعر الروحية والحواطر وأدوانيا في التصوير من الألفاظ والأساليب والصور المستعمدة من الحقيقة والحبال وواعد المرسقي المختلفة . لذا فقد رأينا الشاعر (حميل) يترهن على رقة متعاره ومعاناته في الحب ، ندحوه في العرص الأصيل للقصيد وهو الحب العذري نون ان يقدم لنا كما اعتاد معاصروه من الشعراء ، وقد عمد حميل إلى هذا النهج العيني نتيجة لاحتشاد متعاره وشاعريته بواصل من رفرات الوحد المكونة بلهيب التسوق إلى محبوبته ، ومن ثم فهوليس في حاجة إلى مقدمة طويلة يتوسل بها إلى ذكر صاحبه ، وإلهاب متعاره وحتد شاعريته نحوها كما أعتاد كثير من الشعراء قبله بل هو في حاجة ملحة إلى التوفيس عن عواضه وحراجه المكلمة . عله يجد من خلاله متنفساً يريح به قلبه ، ومن ثم قصد إلى ذكره بالحديب عنها في عحالة مباشرة .

ومن هذا المنطق فإن هذا النهج العيني سرعة الولوج إلى موضوع القصيدة :عاسرة الحديب فبه يكاد يتل عاملاً وخاصة مشتركة عند شعر الحب العذري

ولعل أنسب دليل على صحة هذا الرأي تلك البداية الرائعة التي بدأ بها حميد
هذه القصيدة حين يقول

ألا لبيت أيام الصفاء حبيد

ودهرأ تولى يا نثين يعود

إنَّ قصد إلى محاكاة صاحبه في بلقانية ولهفة وتطلع إلى أيام الصفاء
والنقاء والطهر والعفاف ويرداد بلقانية الشاعر وبراعته في استهلاله لعرضه دور
واسطة أو مقدمة . من محاطته لمحبته بقوله (يا نثين) . فقد حدد حاجته
وسؤاله ورجاءه . رهنه صورة نعتت على الإعجاب بشاعرية جميل . وحسن
استهلاله لهذه القصيدة وتكته من أدوات فنه

ومن الصور التي أسهمت في إظهار المعنى ، والتعزير عن مكنون الشاعر .
والإفصاح عن مراده قوله في البيت الثالث :

وما أنس من الأشياء لا أنس قولها

وقد قرئت نصوي أمصر تريد

فهو يوحي بأن بتينة قد أحدثت منه كل شيء وسلبت عقله ولنه حتى عاد
لم يتذكر شيئاً إلا شيئاً واحداً هو قولها ' امصر تريد ' وفي هذا إحياء لاستمرار
الحب بينهما . لكنها تستهجم ونسبته للعراق والاعتراب الذي يؤجج الحب ويريد
حرارة الشوق والحرمان

كما أن في البيت صورة أخرى قوله " قرئت نصوي " حيث يصور ذلك
الحياء الذي يلا قلب بتينة ونفسها وهو من سمات الحب العذري القائم على
الطهر والعفاف . فهي لا تصرح بما يدور في نفسها من خوف ولهفة على فراق
محبوبها . لكنها اقتربت منه كي تهنس في أذنه . فالصورتان باعتراف من

الحقيقة ، فهي - في نظره - لا نسأل بالاستفهام عن سفره إلى محر ، فهو أمر مقرر وحقيقة واقعة ، وإنما تصور لوعة الغراق والام العربة ومرار الاعداد ومة صورة في السب الرابع . نبرز كذلك - حياء محبته وعفب يحومها من الوشاة والحساد لذلك فهي لا تستطيع توديع محبوبها . وحتى لا يطر نها محبوبها التقصير . بل هي في حالة من الحوف والحياء معاً حوف من عبور الحساد والوشاة . وحياء من أن يراها أحد لدا فإنها تقسم له بأنها غير مقصرة وأنها بعديه بنفسها وروحها ، بل بانانها وأحدادها . بل على إحلاصنا ومحنتها .

وأما قوله " فيما يبدي يبدي " فهو صراحة الشاعر الذي لا يملك الفرار من لوعته العاتية لأن المقادير برهتها عن العناء . كما يلوح هذا التحاسن في الإيقاع من حيث اللفظ والتناسق في التقابل بين المعنيين وهو إيقاع موسيقي أيضاً . فالمعنى الأول يغاير الثاني رغم هذا التجانس اللفظي ، وهذا يعطي نغماً موسيقياً يدل على موهبة الشاعر في التصوير . وإسرار معالم الحب العذري وسمات العزل العفيف .

وفي الأبيات الخامس عشر وحتى الثامن عشر ، صور أدبية متراكمة ومتنوعة فالاستفهام في " ألا ليت شعري " يعطي صوراً متلاحقة مثل صور العرص . للأسلوب الإنشائي وبين الوصل والمنع إلى حد " التعذر " أو اليأس القائل وكذلك الاستفهام في قوله " وهل أهنطن أرضاً " يصور الرحاء والتحسر والدعاء والصراع العنيف والخوف من عوائق الطبيعة كالسهول والوديان والحال . والعواصف والرياح والأنواء والأمطار ، فمظاهر الطبيعة تشاركه التورة والصراع

والعمى وهي من سمات المشاركة الوجدانية من الشاعر ومن الطبعة ومظاهر الحياة والكور

والاستفهام الثالث "يهمل ألف سعدي" يصور النعي والانكار والحواف من الوثأه نم الرمر ب سعدي عن سه حفاظا علينا او حنابة لها من أهلها. أو مراعاة للتقاليد والعادات عند العرب. أو سيرا على نهج الشعراء. وفي التكنية عن اسم مخزون بن عبد الحفقي سعدي أو ليني وتبرها من الصور التي تراحم حبل هذا الرمر العزلي

تم ينتهي القنيدة إلى قمة التصوير الأدبي للمبالغة في قمة الحب العذري العاشق. لتكوز كالحكم القضائي والنقطة سعة لهذه التجربة الشعرية في الحب العفيف الصادق. وذلك في تصوير مكانة الحب، والعناية فيه، والجهاد في الحفاظ عليه. وبقيته ومقاومة الصراعات والتأثرات من حبله. حتى يتحقق له إحدى الحسينيين: أما الزواج والتنع بالحديث العذب وأما أن يبال الشهادة في سبيل الحب العفيف. يقول حنبل بثبة

يقولون : جاهد يا جميل بغزوة

وأى جهاد عيرهن أريد

لكل حديث بينهن شائفة

وكل قتيل بينهن شهيد

٢- الألفاظ والتراكيب :

الألفاظ والكلمات تلعب دورا بارزا في الشعر إذ إنها تساعد على بعث صور إيحائية. وفي هذه الصور يعيد الشاعر إلى الكلمات قوة معابها التصويرية العظيمة في اللغة

ومن ثم عندما يتخذ الشاعر لنفسه كما صحما من الكلمات التي يخدم أو يعرض بها موضوعا ما يجب أن تكون هذه الكلمات ملائمة ودالة على المعنى الذي يسوقه . إذ يساعدنا هذا على معرفة الشاعر وبفستنه . وذلك من خلال تدعية الكلمات التي يكثر دهرانها في شعره . إذ إن ما يعبر الكاتب عنه حقا هو طبعه وشخصيته العميقة وما يفصله وما ينفرد منه . ومظهره . ويمط حنانه ويعودد وازنانه وحيويته وفتوره . وهذا ما يعبر عنه إن كان يقدم بياناً حقيقياً باهتماماته الخاصة

ويتجاوز مع هذا العنصر عنصر آخر له أهميته . وهو العاطفة . ومن خلالها يدفع إلى الشاعر الكشف عما يعتلج في نفوسنا . أو حنايا الكون استجابة لهذه العاطفة وفي لغة هي صور . ولذا فإن اختيار الشاعر لكلمات معينة يرحع لأسباب نفسية . أو لاتجاه شعري . إذ أن لغة الإنسان حرة من تركيبته النفسية . وإن انقائه للكلمات والمفردات يعتمد على طبيعة ما يريد الإفصاح عنه من داخل نكويته الداني . ومما ترسب في أعماقه

ومن هذا المطلق فقد اتسمت القصيدة بالسهولة والوضوح في العاطفها ومعانيها في إبحاء تام وحلاء بس . وهي سمة فنية تكشف عن قدرة الشاعر وبكته من أدوات فنه . ونتم عن ثقافته العنيفة ودرايته بألفاظ اللغة ومعانيها . لذا يراه يعتمد إلى المعاني المركبة فتسلس له وتدوب رقة وسهولة فإذا هي محلوة واضحة يدركها المتلقي دون عناء أو تعب . ويرجع ذلك - كما أشرنا من قبل - إلى قوة العاطفة وبوعيتها . والشاعر هنا شديد الشعف بحبونه فهمي تفكيره وحواسه ومشاعره وحنه الذي ينصرف إليه بفكره وفنه ويسخرهما لخدمة هذا العريض وتلك العاطفة الجياشة ؛ لذا يراه لا يجهد نفسه وراء المعاني البعيدة أو الحبال

الجامع . ولا يتكلف الألفاظ العربية المتقعرة ، وإما ينساق بشاعريته وعاطفته
 وفضحه إلى المعاني الرقيقة والتراكيب السهلة التي توحى بمكنون نفسه وتنب
 عن مراده وتفضح عن بحرته دور عداء أو مشقة

ومن ثم فالطر إلى المصحح اللغوي للشاعري في هذه القصيدة . يرى كما هانلاً
 وسنلاً منهجراً من كلمات الحب ، واليصال التي بدل عنها في نفسه مر حب ونعتن
 وشام مثل الوجد والدمع ، عرة ، الحب ، حنك ، اليصل - نوال - سعيد -
 سعدي - الصفاء أهذاء إلى غير ذلك من الكلمات التي توحى وتعطي دلالة على
 حبه وصدقته فيه

كما أن هناك كما من الألفاظ التي توحى بمعاناته وتألمه من النعد والعراق
 وقلة الوصال . ومن ذلك ألا ليت ، نولي ، يعود . فنعني كما كما نكور - وما
 أنسى . لا أنسى قولها ولا قولها : لولا العيون . فاعدرني - فذتك حدود - حليبي ما
 أحسى - قاتلي - ردي بعض عقلي - بعد ، فلا أنا مردود ، صعود ، أفين
 عبثي - أنليت ذاك الدهر - هل أنيت ليلة - هل أهطن أرضاً - هل ألقين - هل
 تلتقي إلى غير ذلك من الألفاظ والتراكيب التي تدل على معاناته وتألمه صابته
 وجرمانه . وانتظار الوصال لم يحط به

وهكذا استطاع الشاعر أن يبرز ملامح تحريته وحبه نحو محبوبته . وكذلك
 معاناته وعفته وظهره في هذا الحب

كما ينبغي الإشارة إلى أن القصيدة اشتملت على بعض الألفاظ التي تنم
 عن ثقافته الإسلامية ، مثل : صديق ، الله ، حميد ، ميتاق ، عهد ، والبيت
 الثالث عشر كله حيث يعلم أن نينة لبست زوجته وإما هي في عصمة رجل آخر

وهذا خلق إسلامي ومن الألفاظ الدالة عن ثقافته الإسلامية أيضا قرين -
رشيد - يموت - يحيا - خالد عروه - جهاد وحديث - فتيل - شهيد .

ولم ينس الشاعر أن يمتاح من الطبيعة ما يعبره عن حرء من تحريته بمنل
أرض . رياح حؤدر . الفنايا

وهكذا استطاع الشاعر أن يعبر عن تحريته في الحب العذري من خلال القيم
الموضوعية والفنية التي وطفها في هذه القصيدة لتكوير الركيزة التي يركز عليها في
إحراج هذه التحربة من أعماق قلبه ووحدانه .